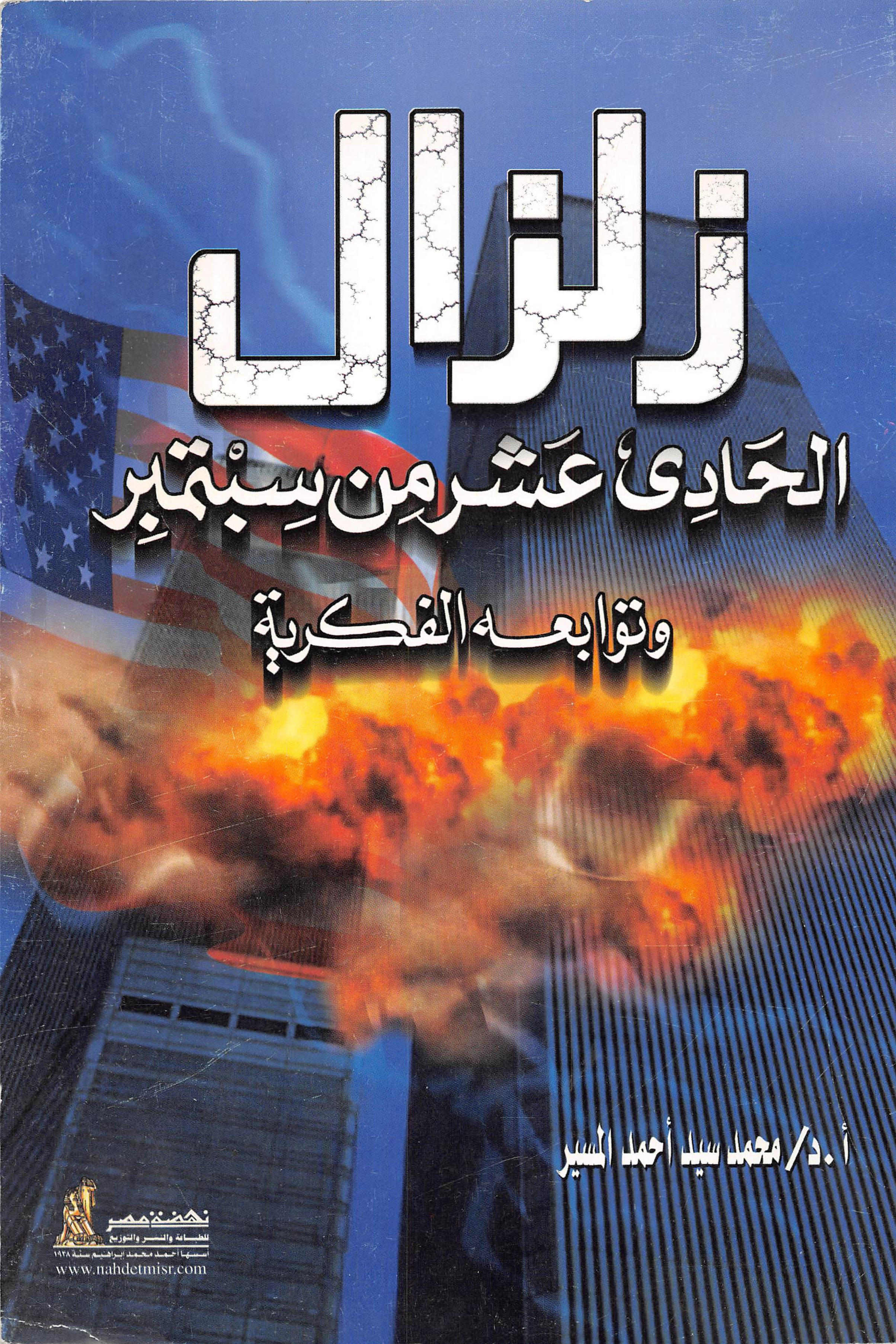
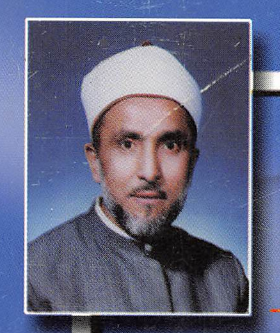


زلزال
الحادي عشر من سبتمبر
وتوابعه الفكرية

أ.د/ محمد سيد أحمد المسير

نهضة مصر
للطباعة والنشر والتوزيع
أسسها أحمد محمد إبراهيم سنة ١٩٢٨
www.nahdetmisr.com





هذا الكتاب يصف الواقع بلا مداراة ، ويقدم نصيحة الحق بلا مواربة ، ويؤكد مجموعة حقائق فى السياسة والحضارة والدين :

- أن الإرهاب صناعة أوربية وأمريكية ، وأكبر شاهد على ذلك قيام دولة إسرائيل .
- أن الساحة الدولية الآن تشهد التقاء الاستيطان الصهيونى مع الزحف الصليبى فى محاولة يائسة للقضاء على الإسلام والمسلمين .
- أن الحضارة الغربية حضارة عنصرية ، استعمارية ، غير أخلاقية .. والجانب العلمى لتلك الحضارة هو تراث الإنسانية المشترك ، وللمسلمين فضل على أوربا لا ينكره إلا جاحد أو جاهل .
- أن الإرهاب الأمريكى يريد إسلامًا جديدًا بلا عقيدة ولا قوة ولا شرف .
- أن الجهاد الإسلامى لا يستنزف ثروات الشعوب ، ولا يدمر حضارة الإنسان ، ولا يسعى لمكاسب رخيصة ـ وانتصار المسلمين يعنى استمرار العطاء المبارك فى جوانب الحياة كلها .

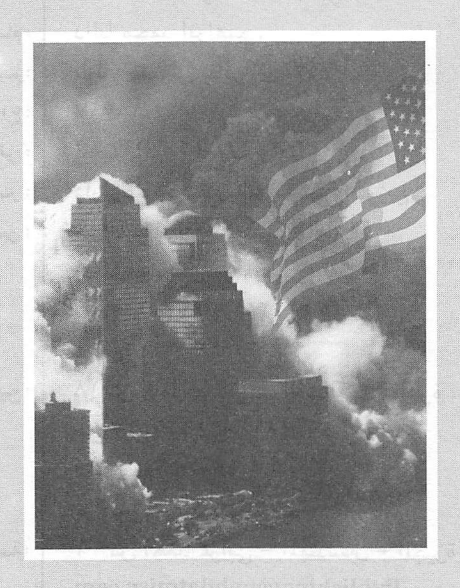
الناشر



زلـــــــزال

الحادى عشر من سبتمبر

وتـــوابعـــه الفكـــــريـــة

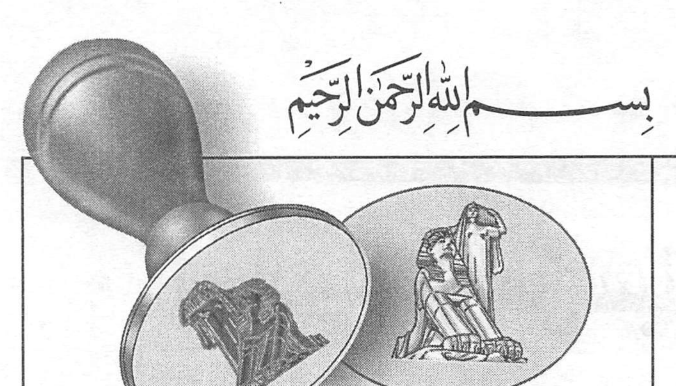


أ. د. محمد سيد أحمد المسير



أسسها أحمد محمد إبراهيم سنة ١٩٣٨
www.nahdetmisr.com

بسم الله الرحمن الرحيم



اسم الكتاب:	زلزال الحادى عشر من سبتمبر وتوابعه الفكرية.
اسم المؤلف:	أ. د. محمد سيد أحمد المسير .
إشراف عام:	داليا محمد إبراهيم .
تاريخ النشر:	الطبعة الأولى يناير ٢٠٠٣.
رقم الإيداع:	١٩٣٩٧/ ٢٠٠٢
الترقيم الدولى:	ISBN 977-14 -2037 - 2
الناشر:	دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع .
المركز الرئيسى:	٨٠ المنطقة الصناعية الرابعة مدينة السادس من أكتوبر ت: ٨٣٣٠٢٨٧ - ٨٣٣٠٢٨٩ فاكس: ٠٢/٨٣٣٠٢٩٦
مركز التوزيع:	١٨ ش كامل صدقى - الفجالة - القاهرة . ت: ٥٩٠٩٨٢٧ - ٥٩٠٨٨٩٥ . فاكس: ٠٢/٥٩٠٣٣٩٥ ص.ب: ٩٦ الفجالة - القاهرة.
الإدارة العامة:	٢١ ش أحمد عرابى - المهندسين - الجيزة **Publishing@nahdetmisr.com** ت: ٣٤٦٦٤٣٤ - ٠٢/٣٤٧٢٨٦٤ . فاكس: ٠٢/٣٤٦٢٥٧٦ ص.ب: ٢٠ امبابة
موقع الشركة على الإنترنت	كافة إصدارات شركة نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع تجدونها على موقع الشركة بالعنوان التالى www.nahdetmisr.com الرقم المجانى 07775666

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى . .

أما بعد . .

فهذا الكتاب غير تقليدى لأنه يقوم على جانبين :

الأول : لقطات فكرية من مواقع الأحداث ، تعقبها كلمات ناصحة بأمانة الشرع ، حكيمة بمنطق العقل ، تنبه الغافلين ، وترشد الحائرين ، وتفضح المنافقين ، وتشد أزر المخلصين . .

الثانى : بحوث علمية قائمة على القرآن المجيد والسنة المطهرة ، تؤازر الحق وتدعو إلى الخير وتحث المسلمين على الولاء لمنهج الله ، ومواجهة المتربصين بالأمة الإسلامية . .

والكتاب فى مجموعه لا يستحيى من الحق ، ولا يخشى فى الله لومة لائم ، ولا يعرف المداراة أو المواربة ، فالحق أحق أن يتبع ، والأمر جد خطير ، والواقع ملىء بالفتن التى تدع الحليم حيران . .

وقد جاءت هذه اللقطات الفكرية والبحوث العلمية على ستة مشاهد . .

المشهد الأول : الفاعل الخفى :

إن الزلزال المدمر الذى اجتاح الولايات المتحدة الأمريكية فى صباح الحادى عشر من سبتمبر سنة ٢٠٠١ م حطم رموز أمريكا السياسية والعسكرية والاقتصادية ، وطعنها فى مقتل ، وأصاب قادتها بالدوار الفكرى . .

وعلى الرغم من أن هناك ألفى اتجاه للوقوف على الجانى الحقيقى - كما قال المدعى العام الأمريكى - فإن شواهد كثيرة تؤكد تورط اليهود والإرهاب الداخلى الأمريكى فى هذه القضية . .

المشهد الثانى : الإرهاب :

تزايدت مقولات الإرهاب والإرهابيين بعد أحداث الحادى عشر من سبتمبر ، ويحاول الغرب الصليبى والصهيونى أن يلصقها بالإسلام والمسلمين . .

ونحن نعتقد أن الإرهاب صناعة أوربية وأمريكية ، بدأ بإرهاب الدولة واستمر بالإرهاب الفردى والجماعى ، وأكبر شاهد على ذلك قيام دولة إسرائيل بناء على وعد بلفور الإنجليزى ودعم الولايات المتحدة . .

لقد اغتصبوا الأرض وشردوا الشعب ودنسوا المقدسات وعاثوا فى الأرض فسادًا . .

المشهد الثالث : فلسطين بين الصهيونية والصليبية :

إن الساحة الدولية الآن تشهد التقاء الاستيطان الصهيونى مع الزحف الصليبى فى محاولة يائسة للقضاء على الإسلام والمسلمين . .

وعقدة العقد هى ارتباط هذا الالتقاء الشيطانى بعقيدة دينية لدى الطرفين ، فاليهود يتحدثون عن حقوق توراتية فى فلسطين وعن آمال معسولة للسيطرة على العالم تحت حكم ملك اليهود . .

وبما أن العهد القديم جزء من الكتاب المقدس لدى النصارى ، فإن النصارى يجدون أنفسهم فى جاذبية شديدة نحو اليهود دعمًا ومساندة ، ويتوهمون أن هؤلاء اليهود سيبدلون عقيدتهم ويمرغون جباههم فى أعتاب الكنيسة النصرانية ، ولعل وثيقة تبرئة اليهود من دم المسيح ، التى أصدرها المجمع المسكونى فى روما سنة ١٩٦٥م كانت مقدمة لهذا اللقاء غير الشريف . .

المشهد الرابع : بين حضارتين :

صرح رئيس وزراء إيطاليا « سيلفيو بيرلسكونى » بأنه يجب على أوربا أن تدافع عن الحضارة الغربية فى وجه الأشرار المجرمين ، ودعا إلى ضرورة انتصار الغرب على الإسلام . .

والقضية الغائبة هنا أن الحضارة الغربية اليوم أبعد ما تكون عن الإنسانية الرشيدة فهى حضارة عنصرية استعمارية غير أخلاقية . .

وإن الجانب العلمى لتلك الحضارة هو تراث الإنسانية المشترك وليس من إبداع الأوربيين وحدهم . .

والحضارة الإسلامية هى التى أيقظت أوربا وأخرجتها من عصورها المظلمة . .

وإن التعصب الأعمى أو الجهل الأحمق هو الذى يدفع الأوربيين إلى إنكار أثر الحضارة الإسلامية . .

والإسلام له نظرته المثلى فى الحفاظ على الحياة الإنسانية والحيوانية والنباتية . .

المشهد الخامس : قضايا السلام والحوار والخطاب الدينى :

* إن المسلمين أحرص الناس على السلام الذى يصون الحقوق ويحفظ الحريات ويحمى المقدسات . .
ونحن نؤمن بأن السلام فريضة إسلامية ولا يناله إلا الأقوياء ، وهو إرادة عامة مشتركة وليس إرادة فرد أو طرف واحد ، ونحن نرفض السلام الممنوح من قوى البغى والعدوان ونرفض ثقافة الخنوع والاستسلام . .

* إن الحوار هو مراجعة الكلام وتبادله بين طرفين متخالفين يحاول كل منهما أن يصل إلى الحق . .
والحوار تحكمه آداب وقيم ، تحترم المحاور وتؤكد قيمة العقل ، ويكون فى المقام الأول حول العقائد ومايختلف الناس حوله من حيث الخير أو الشر ، ومن حيث الصواب أو الخطأ . .
أما المساحات المشتركة بين الأديان لنصرة المظلوم ورد العدوان فتحتاج إلى جمعيات خيرية ومنظمات شعبية ، والحديث فيها لا يسمى حوارًا . .

* إن الإرهاب الأمريكى يريد إسلامًا جديدًا بلا عقيدة ولا قوة ولا شرف ، ويسعى للسيطرة على مناهج التعليم كى ينشأ جيل بلا هوية إسلامية ، ويحرص على أن يحصر علاقة المسلم بإسلامه داخل المسجد فقط ولا شأن له بالسياسة والاقتصاد والاجتماع . .

المشهد السادس: المواجهة:

واقع المسلمين اليوم أنهم يتسولون على موائد اللئام ، ويستجدون حقوقهم من أعدائهم ، وأصبحوا غثاء كغثاء السيل ، رحمهم مقطوعة وبأسهم بينهم شديد وأموالهم فى أيدى خصومهم . .

ونحن نعتقد أن تلك الحال سحابة صيف ثم تنقشع ، وأن نصر الله آت لا ريب فيه ، فالابتلاء سنة إلهية والعاقبة للمتقين ، وليس هناك معركة بغير شهداء ، والجهاد الإسلامى لا يستنزف ثروات الشعوب ولا يدمر حضارة الإنسان ولا يسعى لمكاسب رخيصة . .

وانتصار المسلمين يعنى استمرار العطاء الخير المبارك فى جوانب الحياة كلها . .

قال الله تعالى :

﴿ ... وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (٤٠) الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ (٤١) ﴾ [الحج : ٤٠ - ٤١] .

١٧ من رمضان ١٤٢٣هـ

٢٢ من نوفمبر ٢٠٠٢م

أبو حذيفة

أ.د. محمد سيد أحمد المسير

أستاذ العقيدة والفلسفة - كلية أصول الدين

جامعة الأزهر - القاهرة



المشهد الأول

الفاعل الخفى

- الخدعة المخيفة
- التضحية بالذات
- الاختراق قائم
- شاهد من أهلها
- فتوى العلماء

المشهـــــد الأول



الفـاعـــل الخفـــى

تمـهـيـد:

استيقظت الولايات المتحدة الأمريكية صباح الثلاثاء ، الحادى عشر من سبتمبر سنة ٢٠٠١ م على حدث ليس له مثيل فى التاريخ ، ولم يخطر على بال أحد . .

لقد اخترقت طائرتان مدنيتان مركز التجارة العالمى فى نيويورك وحولته إلى أنقاض . .

وهو مركز يتكون من برجين ، ارتفاع كل منهما أربعمائة وأحد عشر مترًا ، تمثل مائة وخمسة طوابق ، بالإضافة إلى مجموعة مبان مكتبية منخفضة الارتفاع . .

وإجمالى مسطحات المركز تبلغ أكثر من مليون متر مربع ، ويعمل به أكثر من خمسين ألف شخص ، ويستقبل يوميًا سبعين ألف زائر . .

كما قامت طائرة أخرى بتحطيم جزء من مبنى البنتاجون فى واشنطن ، وهو مبنى وزارة الدفاع ، وسمى بهذا الاسم لأنه خماسى الأضلاع ، وتبلغ مساحته المبنية ثلاثين فدانًا ، ويتسع لأكثر من ثلاثين ألف شخص . .

وتحطمت طائرة رابعة كانت مخطوفة فى بنسلفانيا (شمال شرق) وقيل إنها كانت تتعقب طائرة الرئيس الأمريكى بوش الذى كان محلقًا فى الجو أثناء هذه الأحداث . .

ومن ثم اقتيد الرئيس بوش ونائبه ديك تشينى بلا إرادة منهما وتحت سطوة رجال الأمن إلى حيث يوفر لهما الأمان . . وكان التساؤل الحائر :

كيف نجح الإرهابيون فى اختطاف أربع طائرات مدنية فى وقت واحد ؟!

وكيف نجحوا فى مواصلة الطيران دون أن يتعثر أحد منهم ، حتى إنه بعد ارتطام أول طائرة بالبرج الأول لمركز التجارة العالمى تمكنت الطائرة الثانية من مواصلة طريقها بسهولة كى ترتطم بالبرج الثانى ؟!

لقد حطم هذا الزلزال رموز أمريكا السياسية والعسكرية والاقتصادية وطعنها فى مقتل وأصاب قادتها بالدوار الفكرى . .

فأعلن الرئيس الأمريكى الحرب الصليبية على المسلمين ، ثم ذهب إلى المركز الإسلامى فى واشنطن ووصف الإسلام بالسماحة والسلام . . وتعهدت دول الاتحاد الأوربى بحشد قواتها العسكرية لحصد المسلمين فى أفغانستان ودول أخرى ، ثم أعلن قادة الاتحاد الأوربى أنه ليس لديهم رغبة فى فتح صراع الحضارات مع العرب والمسلمين . .

وتزايدت مقولات الإرهاب والإرهابيين وحاول الغرب الصليبى والصهيونى إلصاقها بالإسلام والمسلمين ، وصرح رئيس وزراء إيطاليا « سيلفيو بيرلسكونى » بأنه يجب على أوربا أن تدافع عن الحضارة الغربية فى وجه الأشرار المجرمين ، ودعا إلى ضرورة انتصار الغرب على الإسلام . .

وأخيرًا وجه الرئيس الأمريكى بوش تحذيرات شديدة اللهجة إلى ما سماه «محور الشر» الذى يشمل سبعين دولة فى مقدمتها العراق وإيران وكوريا الشمالية ، وصرح بأن كل الخيارات مطروحة للتعامل مع هذه الدول ، بما فيها استخدام الأسلحة الذرية . . !!

● الخدعة المخيفة

إن هناك ألفى اتجاه للوقوف على الجانى الحقيقى - كما قال المدعى العام الأمريكى - وإن شواهد كثيرة تؤكد تورط اليهود والإرهاب الداخلى الأمريكى فى هذه القضية . .

وقد صدر فى فرنسا كتاب بعنوان « الخدعة المخيفة - قراءة ثانية لأحداث نيويورك » للكاتب الفرنسى « تييرى ميسان » ، لقد رفض الإجابات والتحليلات التى أعطتها الجهات الرسمية حول أحداث سبتمبر لما تضم من متناقضات وغموض . . وحسب قراءته الثانية فإنه يؤكد أنها ملفقة ، وليس علينا أن نصدق الأكاذيب التى تطلقها السلطات الأمريكية . .

فكيف يمكن لثلاث طائرات كبيرة من طراز البوينج الاصطدام ببنايات عالية مثل توأم المركز التجارى فى نيويورك ، ويقع الاصطدام فى المنتصف بالضبط ؟!

وكيف يمكن لها أن تصطدم بمبنى قصير مثل البنتاجون دون أن تظهر صورة للطائرة فى الصورة الأولى التى نشرت مباشرة بعد الحادث ؟!

ويلقى الكاتب تساؤلات حول تفسير اختفاء « تشينى » نائب الرئيس الأمريكى والرئيس نفسه تحت مبرر حمايتهما من هجوم وشيك ؟!

ويتساءل الكاتب : هل يمكن للمرء أن يقتنع بأن نظام الرادار العسكرى الأمريكى غير قادر على تحديد مكان طائرة بوينج موجودة فى منطقة لا تتجاوز مساحتها بضع عشرات من الكيلومترات ، وأن طائرة مدنية ضخمة يمكنها أن تخدع مقاتلتين إف ١٦ ، أرسلتا لاقتفاء أثرها ؟!

وحتى لو استطاعت أن تتجاوز العقبة الأولى فكيف استطاعت أن تقترب من البنتاجون دون أن يمنعها النظام الأمنى السرى الذى يحيط بوزارة الدفاع الأمريكية ؟!

ويمضى الكاتب الفرنسى فى تساؤلاته حول حقيقة اصطدام طائرة بوينج بمبنى البنتاجون الذى يعتبر أكبر مبنى حكومى فى العالم حيث يعمل فيه ٢٣ ألف شخص ، ويمتد على مساحة ٢٩ فدانًا ويرتفع ٢٤ مترًا . .

ويقول ميسان : إنه لكى يتم إلحاق أضرار بالمبنى يجب الاصطدام به من السطح وليس من الواجهة كما حدث ، ولكن الإرهابيين فضلوا الاصطدام به من الواجهة ، فكيف استطاعت طائرة بتلك الضخامة الطيران على ارتفاع منخفض دون أن تتلف أية منشآت فى طريقها ؟!

ويرجح الكاتب أن يكون انفجار البنتاجون قد وقع من الداخل وليس من الخارج ، ولكن تظل التساؤلات تحوم حول مصير الطائرة ٧٧ التابعة لشركة أميريكان إيرلاينز التى اختفت بالفعل فى هذا اليوم ومصير ركابها ؟!

وحول انهيار برجىّ مركز التجارة العالمى يستبعد تييرى ميسان التقارير الرسمية التى صدرت فيما بعد ، والتى ترجع سبب الانهيار إلى الحرارة العالية الناجمة عن

انفجار الوقود داخل الطائرة مما أدى إلى إضعاف البنية المعدنية المركزية للمبنى ، لقد استبعدت اتحادات المطافئ فى نيويورك هذا التفسير ، وأصدرت نشرة رسمية قالت فيها : إن البنية الأساسية للمبنى يمكن أن تتحمل حرارة النيران لمدة طويلة ، ولكن رجال المطافئ أكدوا سماع صوت انفجارات من أسفل المبنى ويطالبون بفتح تحقيق مستقل عن الحادث .

ويختم المؤلف كتابه قائلاً :

لقد وجهت الاتهامات إلى الإسلاميين وبالأخص إلى تنظيم القاعدة ، ونشر مكتب التحقيقات الفيدرالية أسماء عدد من المتهمين السعوديين المفروض أنهم كانوا على الطائرة ثم اكتشف فيما بعد أنهم أحياء يرزقون فى بلادهم . . !!

ويتساءل المؤلف : كيف يمكن تخطيط عملية بكل هذه التعقيدات من كهف فى أفغانستان ؟ وكيف يمكن لأسامة بن لادن تمويلها بينما كل حساباته مجمدة منذ عام ١٩٩٨ م غداة عملية نيروبى ودار السلام ؟

كل هذه التساؤلات لا تقود إلا إلى أن التحقيقات التى تمت استهدفت التعتيم على وجود مسئولية أمريكية - أمريكية ومن أجل تبرير العملية العسكرية التى ينوى الجهاز العسكرى القيام بها فى الخارج . . !!

ويشير المؤلف إلى أن هناك رسائل تحذيرية وفورية وجهت إلى المسئولين فى إسرائيل وأمريكا من هجوم وشيك على نيويورك قبل ساعتين من وقوعه . .

ويؤكد المؤلف أن الخونة موجودون فى كل مكتب من مكاتب أجهزة المخابرات وعلى أعلى مستوى فى أجهزة الدولة . . !![١]

● **التضحية بالذات:**

إن طبيعة اليهود هى الغدر والخيانة ، وهم يسعون فى الأرض فساداً ، ولا حرج أن يؤذوا أنفسهم كى يدعوا الجريمة على غيرهم ، كما يفعل بعض الساقطين الشواذ عندما يعتدى على رجل كريم ويخشى العقوبة فيقدم على جرح نفسه وتشويه بدنه ثم يدعى أن هذا الرجل الكريم هو الذى فعل به ذلك وقد يأتى بشهود زور

---

(١) صحيفة الأهرام ٢٣ / ٣ / ٢٠٠٢ م - عرض وتقديم ليلى حافظ .

وبشهادات طبية مزورة . . وهذا هو ما حدث فى فرنسا أثناء الكارثة التى أوقعها السفاح الصهيونى « شارون » بالفلسطينيين فيما سمى بعملية « السور الواقى » . .

لقد وقف العالم أجمع يندد بالعمليات الإرهابية الإسرائيلية وخرج الناس من كل مكان ومن كافة العقائد فى مظاهرات صاخبة تحرق الأعلام الإسرائيلية والأمريكية وتنادى بالقصاص من مجرمى الحرب اليهود . .

ولكى تصرف إسرائيل أنظار العالم عن جرائمها قام اليهود فى فرنسا بتدبير اعتداءات تستهدف المعابد اليهودية بصورة شبه يومية رغم أن هناك حراسات مشددة حولها . .

وقد اتهم « جوزيه بوفيه » رئيس اتحاد المزارعين الفرنسيين جهاز المخابرات الإسرائيلية « الموساد » بتدبير هذه الاعتداءات ، وقال فى حديث لوكالة أنباء الشرق الأوسط : « إن الموساد الإسرائيلى يستهدف من وراء تدبير هذه الاعتداءات ضد المعابد اليهودية - الحد من تحمس الفرنسيين للمشاركة فى المظاهرات المؤيدة للشعب الفلسطينى الأعزل »[1] .

وهذا المعنى نفسه أكده الأستاذ إبراهيم نافع فى مقاله « بهدوء » وقال :

وقد أثبتت خبرة التاريخ القديم والحديث أن بعض الحكومات الإسرائيلية لا تتورع عن القيام بأى شىء ضد أى طرف للوصول إلى ما تعتقد أنه يحقق هدفًا لها ، بما فى ذلك أطراف تربطها بإسرائيل اتفاقيات سلام ، أو حتى دول صديقة لها ومنها الولايات المتحدة نفسها ، وذلك باتباع أساليب النشاط السرى الهدام ، التى أثبتت وقائع عديدة خلال الفترة الماضية أنه لا يمر وقت طويل قبل أن تكتشف . .

والمشكلة أنها قد تؤدى إلى آثار مباشرة قبل أن يتم اكتشافها فى ظل مناخ الانفعال الحالى . .

والنموذج التاريخى لمثل هذه الأعمال هو فضيحة « لافون » التى توضح الكيفية التى يمكن أن تفكر وتتحرك بها قيادات إسرائيلية عليا ، فى بعض الأحيان من نوع «بنحاس لافون» وزير الدفاع الإسرائيلى الأسبق الذى ارتبط التخطيط لهذه العملية وتنفيذها باسمه . .

---

(١) صحيفة الأهرام ٢٨ / ٤ / ٢٠٠٢ م .

وتتلخص وقائعها فى قيام شبكة إسرائيلية بتنفيذ بعض التفجيرات ضد منشآت أمريكية وبريطانية فى القاهرة والإسكندرية لأهداف مركبة تتصل بتخريب المفاوضات المصرية البريطانية ، والعلاقات المتنامية بين مصر والولايات المتحدة الأمريكية ، وإفساد الاتصالات التى كانت قد بدأت تجرى بين الرئيس عبد الناصر وموشى شاريت رئيس وزراء إسرائيل وقتها .

لقد كان المسئولون فى إسرائيل خلال هذه المرحلة ، وبينهم ضابط مثل شارون الذى نفذ غارة غزة عام ١٩٥٥ م ، لا يتورعون عن القيام بأى شىء دون أى قيود بما فى ذلك استهداف مصالح يهودية ، ما دام يحقق هدفًا أكبر فى تصورهم ، وهناك حقائق مذهلة حول الأساليب التى اتبعتها أجهزة إسرائيل ضد يهود العراق فى تلك الفترة لحملهم على الهجرة إلى فلسطين ، والتى كان من بينها سلسلة التفجيرات التى شنت ضد مراكز يهودية فى بغداد خلال بداية الخمسينيات ، وتم تصويرها على أنها مذبحة ضد اليهود . .

ثم يضيف الكاتب :

وعلى الرغم من التحالف الاستراتيجى والدعم اللامحدود من الولايات المتحدة لإسرائيل - فقد أقدمت أطراف فى إسرائيل على استخدام تلك الأساليب غير المعتادة لدخول سراديب واشنطن ، كما توضح قضية « چوناثان بولارد » الشهيرة التى تفجرت فى منتصف الثمانينيات بعد إلقاء القبض على هذا الجاسوس الإسرائيلى الذى تجسس على أمريكا ، والحكم عليه بالسجن مدى الحياة . . »[1] .

● الاختراق قائم:

ومع كل الاحتياطات الأمنية المشددة فى الولايات المتحدة ، فمازال الاختراق وإمكان الوصول إلى أهداف تخريبية قائماً بشكل واضح وجلى . .

فقد كشف چيم مكين المتحدث باسم جهاز الخدمة السرية الأمريكية فى أول يوليو سنة ٢٠٠٢ م عن اختراق ثلاث طائرات صغيرة للمجال الجوى المحظور حول منتجع الرئاسة فى كامب ديڤيد خلال وجود الرئيس چورچ بوش . .

(١) جريدة الأهرام ١٣ / ٤ / ٢٠٠٢ م .

وكذلك فإن الإرهاب الداخلى الأمريكى يعمل على قدم وساق وقد وجهت السلطات الأمريكية الاتهام إلى ليونارد جريج (٢٩ سنة) عامل الإطفاء بولاية أريزونا لقيامه بإشعال أحد حريقين كبيرين نشبا فى غابات الولاية والتحما ليصبحا أكبر حريق فى تاريخ أريزونا ، أسفر عن تدمير أكثر من ٤٠٠ منزل ، و١٣٧ ألف فدان من الغابات ، وتشريد أكثر من ثلاثين ألف شخص . .[١]

ولا ننسى ما فعله الإرهاب الداخلى الأمريكى فى « أوكلاهوما » يوم ١٩ من إبريل سنة ١٩٩٥ م حين فجر المبنى الفيدرالى وراح ضحيته ١٦٨ شخصًا وألصقت التهمة ابتداء بالجماعات الإسلامية ثم ظهرت الحقيقة المرة . .

● **شاهد من أهلها :**

وقد حذرت صحيفة نيويورك تايمز بتاريخ ٧ / ٦ / ٢٠٠٢ م إغفال الأنشطة الخطيرة للإرهابيين الأمريكيين فى ظل تركيز السلطات الأمريكية على أنشطة المتطرفين المسلمين ، وقال الكاتب الأمريكى نيكولاس كريستوف : إنه يسيطر على أذهان قادة أجهزة الاستخبارات الأمريكية هاجس الإرهاب الإسلامى ويتناسون المهووسين المتطرفين من الأمريكيين الذين يدبرون المخططات الإرهابية التخريبية التى تبدو بجانبها مخططات الإرهابى أسامة بن لادن مجرد ألعاب أطفال . .

وأضاف كريستوف قائلاً : إن هناك العديد من الجماعات الأمريكية المتطرفة مثل :

جماعة ديڤيد بورجيرت التى كانت تخطط للقيام بثورة عنيفة وحرب أهلية هدفها الإطاحة بكل الحكومة الأمريكية . .

وفى ولاية ميتشيجان خطط الإرهابيون فى ميسورى لشن هجوم على قواعد عسكرية أمريكية . .

وخطط أعضاء ميلشيات كاليفورنيا لنسف منشأة لتخزين البروتين . .

وفى ولاية فلوريدا خططت ميلشيات أخرى لتدمير محطة للطاقة النووية[٢] . .

---

(١) جريدة الأهرام ٢ / ٧ / ٢٠٠٢ م .

(٢) جريدة الأهرام ٨ / ٦ / ٢٠٠٢ م .

ولا ننسى رسائل الجمرة الخبيثة التى أرسلت إلى جهات متعددة فى الولايات المتحدة حتى وصلت إلى الكونجرس الأمريكى وحاولوا إلصاقها بالجماعات الإسلامية ثم ظهرت الحقيقة وهى أنها عملية أمريكية خالصة . .

وأخيرًا فإن الحاكم العسكرى لباكستان الچنرال مشرف الذى انصاع لإرادة بوش ومنح بلاده برًا وجوًا وبحرًا إلى الولايات المتحدة كى تسحق أفغانستان وتبيد أهلها - جاء بعد أن وضعت الحرب أوزارها وأدلى بحديث إلى مجلة « نيويوركر » الأمريكية استبعد فيه تورط أسامة بن لادن فى هجمات الحادى عشر من سبتمبر وقال : ليس من المعقول أن يكون الرأس المدبر لهذه الاعتداءات ، خاصة من مقر إقامته فى الجبال ، وأن الأحداث تحتاج إلى عقل أكثر تطورًا وتقدمًا من أسامة ابن لادن . .

وأعرب عن اعتقاده بأن مدبرى هذه الأحداث يعرفون كل شىء عن الولايات المتحدة ، وكل شىء عن الطيران ، ولا يمكن أن يمتلك أسامة بن لادن الذكاء أو الدقة التى تمكنه من تنفيذ مثل هذه العملية[1] . .

● فتوى العلماء:

تطالب الولايات المتحدة الأمريكية بالقبض على أسامة بن لادن حيًا أو ميتًا ، وتصر على تسلم كل أعضاء ما يسمى بتنظيم القاعدة وتضع العالم أمام خيارين لا ثالث لهما إما أن تكون جميع الدول معها أو ضدها . .

والسؤال المطروح أمام علماء المسلمين هو : هل يجوز تسليم أسامة بن لادن إلى الولايات المتحدة الأمريكية حتى ولو صدقت دعواهم بأنه ضالع فى عمليات التفجير الأخيرة فى واشنطن ونيويورك ؟!

مبلغ علمى أن المسلم لا يحاكم إلا أمام قاض مسلم ، ولا يطبق عليه إلا شريعة الإسلام ، ولا يجوز شرعًا ظلم مسلم أو خذلانه أو تركه للأعداء . .

قال رسول الله ﷺ - كما فى صحيح مسلم - : **المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يكذبه ولا يحقره** (وفى رواية : **ولا يسلمه**) .

---

(١) صحيفة الأهرام ٦ / ٨ / ٢٠٠٢ م .

ومن المعلوم شرعًا أن غير المسلم إما أن يكون عدوًا أو بيننا وبينه ميثاق . .

فإن كان عدوًا فلا حق له فى شىء ، ولا يعان ولا يستعان به . .

قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ (١) ﴾ [الممتحنة : ١] .

وإن كان بيننا وبينه ميثاق وعهد فله منا البر والقسط دون أن تكون له السلطة والسيادة . . قال تعالى : ﴿ ... وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً (١٤١) ﴾ [النساء : ١٤١] وهذا خبر فى معنى النهى أى احذروا أن يكون للكافرين سبيل على المؤمنين . .



المشهد الثانى

الإرهاب

المشهد الثانى

الإرهاب

● صناعة أوربية:

تتزايد مقولات الإرهاب والإرهابيين فى هذه الأوقات ، ويحاول الغرب الصليبى والصهيونى أن يلصقها بالإسلام . . !!

ونحن نعتقد أن للإسلام نوره الوضاء الذى يبدد ظلام الجهل والحقد والبغضاء ، ولسنا نريد أن نقف دائمًا فى قفص الاتهام للدفاع عن الإسلام . .

ونحن نعتقد أن الإرهاب صناعة أوربية وأمريكية ، بدأ بإرهاب الدولة واستمر بالإرهاب الفردى والجماعى ، وأكبر شاهد على الإرهاب هو قيام دولة إسرائيل بناء على وعد بلفور ودعم الولايات المتحدة ، لقد اغتصبوا الأرض وشردوا الشعب ودنسوا المقدسات وعاثوا فى الأرض فسادًا . .

واسألوا مذابح دير ياسين سنة ١٩٤٨ ، وخان يونس سنة ١٩٥٦ ، وتل الزعتر سنة ١٩٧٦ ، وصبرا وشاتيلا سنة ١٩٨٢ ، ومذبحة الحرم الإبراهيمى سنة ١٩٩٤ .

ثم إن جماعات الإرهاب موطنها الأصلى فى أوربا ، فالمافيا فى إيطاليا ، والنازيون الجدد فى ألمانيا ، والجيش الجمهورى فى إيرلندا ، وما يسمى بالجماعات الإرهابية الإسلامية تعيش فى أوربا وتحتضنها حكومات العالم الديمقراطى المزعوم ، وما حدث فى الولايات المتحدة الأمريكية فى ١١ سبتمبر سنة ٢٠٠١ م نما وترعرع وتدرب داخل أمريكا نفسها . .

وأصابع المخابرات الأمريكية والإسرائيلية خلف كل إرهاب عالمى . .

ونحن - المسلمين - ضحية الإرهاب الأمريكى والإسرائيلى الذى يتغلغل فى كل صغيرة وكبيرة ، فمن الذى يحرك المتمردين فى السودان والجزائر وأندونيسيا ؟!

ومن الذى حصد المسلمين فى البوسنة والهرسك والشيشان وكوسوفا ؟!

فيأيها الأوربيون : لقد أكلتم لحوم البشر وتلذذتم بدماء المسلمين فعسير عليكم أن تستعيدوا فطرتكم السوية . .

ونقول لكم كما علمنا القرآن : ﴿ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلاَّ إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ (٥٢) ﴾ [التوبة : ٥٢] .

● **الإرهاب الأمريكى:**

فى خطابه الأول عن حال الاتحاد بتاريخ ٣٠ / ١ / ٢٠٠٢ م حذر الرئيس الأمريكى چورچ بوش من أن الولايات المتحدة الأمريكية لن تتردد فى ضرب عالم الإرهاب القائم تحت الأرض ، محدداً بالاسم حركة حماس الفلسطينية والجهاد الإسلامى وحزب الله اللبنانى وجيش محمد الباكستانية . . وهدد بأنه ما لم تتحرك حكومات الدول ضد الإرهاب فإن الولايات المتحدة ستتحرك بمفردها ، وأن العالم بأجمعه ساحة قتال . . وحدد بوش فى خطابه أمام الكونجرس العراق وإيران وكوريا الشمالية كأنظمة تهدد السلام العالمى وتمثل محور الشر فى العالم . . !!

بالله عليكم لو كان فرعون حياً ما استطاع أن يتكلم بما تكلم به بوش ،لقد استخف فرعون قومه فأطاعوه لكن بوش استخف العالم كله فصمتوا صمت الموتى . . !!

وما فعله هولاكو يوم دخل بغداد فى القرن السابع الهجرى يتضاءل مع ما فعله بوش الأب فى بغداد سنة ١٩٩١ م وما فعله بوش الابن فى أفغانستان سنة ٢٠٠١م . .

إن الإدارة الأمريكية تحكمها عقلية استعمارية بغيضة تحتقر العالم وتسخر من حضارة الشعوب وتسعى إلى الهيمنة الكاملة . . !!

إننا نتساءل :

من الذى يحدد الفرق بين الإرهاب والدفاع عن النفس ؟!

هل ندع ذلك التحديد لمستعمر غاصب غضوب ؟!

ومن الذى يمنح الولايات المتحدة سلطة أن تجعل العالم كله مسرحًا للقتال ، وتتحرك بمفردها لتشريد البشرية ؟!

إن الولايات المتحدة دولة بلا شعب وبلا حضارة وبلا دين وبلا لغة ، فتاريخها لا يتجاوز مائتى سنة ، وشعبها متعدد الأعراق لا تجمعه رابطة ولا يؤلف بينه دين ، ويحاول أن ينحت لنفسه لغة ، فشأنها فى ذلك شأن إسرائيل كلاهما دولة لقيطة لكن إسرائيل أحسن حالاً من الولايات المتحدة ، فهى تقوم على عقيدة دينية أسطورية وتحيى لغة من قمامة التاريخ هى اللغة العبرية . .

إن عقدة الولايات المتحدة هذه جعلتها تعادى الشعوب ذات الحضارة والقيم . .

● الشيطان الأكبر:

هناك وصف أطلقه الإيرانيون على الولايات المتحدة الأمريكية هو أنها الشيطان الأكبر فى هذا العالم المعاصر ، وكنا نتحفظ على هذا الوصف ، لكن الأيام والأحداث تثبت بما لا يدع مجالاً للشك أن هذا الوصف دقيق ومعبر عن السياسة الأمريكية تجاه المسلمين . .

وما يجرى على الساحة الفلسطينية منذ يوم الجمعة الحزين ٢٩ / ٣ / ٢٠٠٢ م بدعم الولايات المتحدة ومباركتها وأسلحتها وتمويلها من إبادة كاملة للشعب ، وهدم كامل للمنشئات وتدمير للأخضر واليابس فى كل مرافق الحياة ، وعزل لرئيس السلطة الفلسطينية بلا غذاء ولا شراب ولا دواء ، تحيط به نيران المدفعية والدبابات والقناصة من كل جانب . . ألا يؤكد صحة الوصف بأن الولايات المتحدة الأمريكية هى الشيطان الأكبر ، بل إن إبليس اللعين يخجل أن يردد ما يقوله چورچ بوش من أنه يتفهم تمامًا دوافع إسرائيل فى الدفاع عن نفسها وأنه يحمل ياسر عرفات مسئولية الإرهاب فى المنطقة . . !!

لقد أحسنت الحكومة العراقية صنعًا عندما رسمت صورة چورچ بوش الأب على أرضية مدخل فندق الرشيد فى بغداد لتطأه أقدام كل من يدخل الفندق . .

وإذا كنا نحن المسلمين نرمى الجمرات فى موسم الحج ترغيمًا للشيطان وإعلانًا رمزيًا لعداوتنا له ، فحبذا لو وضعنا نصبًا للساسة الأمريكيين فى الميادين العامة نرجمها صباحًا ومساء حتى إشعار آخر . . !!

إن إسرائيل لا تملك شيئًا ولا تستطيع أن تواجه الفلسطينيين فضلاً عن العرب والمسلمين لولا دعم الولايات المتحدة لها عسكريًا وسياسيّاً واقتصاديًا ، ولقد كان الرئيس الراحل أنور السادات صادقًا عندما قبل وقف إطلاق النار فى حرب العاشر من رمضان وقال : لا أستطيع محاربة الولايات المتحدة الأمريكية . . !!

إن الولايات المتحدة هى الشيطان الأكبر ، ومحاولة المسلمين استرضاءها محاولة فاشلة ، فالشيطان عدو مبين ولن يهادن أو يستسلم إلا بقوة روحية هائلة تدعم القوة المادية المتاحة ، وحينئذ يفرح المؤمنون بنصر الله . .

● **أعداء البشر :**

انسحبت الولايات المتحدة الأمريكية من معاهدة إنشاء أول محكمة جنائية دولية دائمة لجرائم الحرب فى أوائل مايو سنة ٢٠٠٢ م وسط انتقادات دولية حادة ، فقد أكدت « مارى روبنسون » مفوضة الأمم المتحدة لحقوق الإنسان أن قرار الانسحاب يعد إشارة مؤسفة وفى منتهى الخطورة ، واتهم وزير خارجية كندا الولايات المتحدة بممارسة سياسة مزدوجة المعايير . . !!

وفى نفس هذا التوقيت تراجعت الأمم المتحدة عن تشكيل لجنة دولية لتقصى الحقائق حول الجرائم التى ارتكبها الجيش الإسرائيلى بقيادة السفاح شارون فى مخيم جنين ومدن الضفة الغربية خلال ما سمى بعملية الجدار الواقى . . !!

وأقول :

متى كانت الولايات المتحدة الأمريكية حريصة على حقوق الإنسان وهى التى حصدت البشر وأهلكت الحرث والنسل فى اليابان وڤيتنام والعراق وأفغانستان وغيرها ؟!

وكيف تشارك فى محاكمة مجرمى الحرب وأيديها ملطخة بالدماء ، وقادتها هم الذين يقدمون السلاح والغذاء لدولة الإرهاب فى إسرائيل ؟!

إن الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل هما عنوان العنصرية والإرهاب الأسود فى هذا العالم ، ويلتزمان بمقولة واحدة هى « ليس علينا فى الأميين سبيل » ، تلك المقولة التى سجلها القرآن كطبيعة وراثية لليهود فى كل زمان ومكان ، ويقصدون بالأميين كل ما عداهم من أمم البشر . .

إنهم أعداء البشر ، لا يرضون للإنسان إلا أن يكون ذليلاً لهم ، خاضعًا لأهوائهم ، مسلوب الإرادة أمام مخططاتهم الشريرة . .

إن اليهود يتخذون من شتاتهم عامل قوة يصل بهم إلى السلطة العالمية ، ويكوّنون الخلايا السرية فى كل أرجاء العالم تحت قيادة موحدة تسعى لأن تجعل من ملك إسرائيل البطريك الذى يركع له الناس جميعًا . .

إن الولايات المتحدة وإسرائيل هما الخطر القائم والقادم . . !!

● «هولاكو» التترى والصليبى :

فى سنة ست وخمسين وستمائة للهجرة دخل التتار بقيادة « هولاكو » مدينة بغداد وقضوا على الخلافة العباسية . .

وجرى فى بغداد على أيدى التتار من القتل الذريع ، والنهب العظيم والتمثيل البليغ والخراب الشديد ما يعظم سماعه ، وبلغ عدد القتلى مليونى نفس تقريبًا ، وهدمت المساجد ، وأتلفت الكتب ، وهلك العلماء وحملة القرآن ، وتعطلت المدارس وأصبحت المدينة قاعًا صفصفًا . .

وبعد أربعين يومًا من استباحتها نفسًا ومالاً وعرضًا نودى بالأمان فخرج من تحت الأرض الذين اختفوا فى المقابر والآبار ، كأنهم الموتى ، فأنكر بعضهم بعضًا فلم يعرف الأب ابنه ، ولا الأخ أخاه ، ثم انتشر الوباء فحصدهم فلحقوا بمن سبقهم من القتلى . .

واليوم يعيد التاريخ نفسه ، ويتقدم « بيل كلينتون » الأمريكى ممثلاً لهولاكو التترى ، فيحرق بغداد[1] ، ويدمر الحرث والنسل ، ويستخدم أسلحة لم يعرفها البشر من قبل ، وكانت مدة الهجوم الحديث سبعين ساعة ، دمرت مائة هدف ، فى طلعات جوية وصل عددها إلى ستمائة وخمسين طلعة ، أطلقت فيها أربعمائة وخمسة عشر صاروخًا . .

ولنا أن نتساءل هل أسباب الدمار الأول هى أسباب الدمار الثانى ؟!

---

(١) بدعوى عدم التعاون مع مفتشى الأمم المتحدة عام ١٩٩٨ م .

لقد كانت فى القديم الخيانة من بعض الوزراء ، واللهو من جانب الخلفاء ، والتمزق فى الدولة الإسلامية ، والتربص من الأعداء . . وأظنها اليوم كما كانت بالأمس . .

وإذا كان التتار والمغول الذين قضوا على الخلافة والحضارة الإسلامية قد تحولوا بعد ذلك إلى مسلمين وانتصر الإسلام عليهم عقديًا وفكريًا فانقلبوا حماة للإسلام ودعاة للحضارة الإسلامية ، فهل ينتصر الإسلام اليوم على الغرب فى عقر دارهم وبأيدى أبنائهم ؟!

إن المستقبل للإسلام ، وإن هناك دلائل كثيرة تؤكد أن الإسلام قادم شرقًا وغربًا . . ﴿ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴾ . .

● **العدالة الأمريكية:**

بتاريخ ٢١ / ١٢ / ٢٠٠١ م تناقلت الصحف هذا الخبر :

« وافق مجلس النواب الأمريكى على تقديم ثلاثة مليارات دولار لإسرائيل ، وأوصى المجلس بفرض عقوبات على السلطة الفلسطينية والرئيس ياسر عرفات إذا لم يلتزم باتفاقيات السلام أو لم يوقف الهجمات الانتحارية ضد إسرائيل » . .

فى كل لحظة يتبدى الوجه القبيح للولايات المتحدة الأمريكية ودورها العنصرى البغيض ضد الإنسانية ، وموقفها الرافض لحقوق الشعوب فى سيادتها على أرضها ومقدساتها . .

يتزامن ذلك مع ما تشنه العسكرية الأمريكية من إرهاب ضد المسلمين بدعوى زائفة هى العدالة المطلقة أو الحرية إلى الأبد !!

فأى عدالة تلك التى تمنح إسرائيل المال والعتاد والتأييد لسياسة الاستيطان الصهيونى ، واغتيال القادة الفلسطينيين ، وتحريق الزروع والثمار وتجريف البيوت والمبانى ، وحصار الشعب والسلطة ، ومنع المساعدات الإنسانية ؟!

وأى عدالة تلك التى تجعل من حق الولايات المتحدة أن تسيطر على شعوب العالم تذبح من تشاء وتستحيى من تشاء وتفسد فى الأرض وتستعلى فوق البشر؟!

إن الولايات المتحدة فى سكرات قوتها العسكرية الطائشة وستلقى قريبًا العدالة الإلهية المطلقة التى تستأصل الظلم والظالمين ، وتعيد التوازن الكونى لمصلحة الحياة والأحياء . . قال الله تعالى :

﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ (٤٧) وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ (٤٨) ﴾ [الحج : ٤٧ ، ٤٨] .

● **الحرب العالمية الثالثة :**

تناقلت الصحف أن كاتبًا أمريكيًا فى مجلة « ناشيونال ريڤيو » كتب فى موقع المجلة الإلكترونى مقالاً دعا فيه إلى ضرب مكة المكرمة بقنبلة نووية . .

وقام مجلس العلاقات الإسلامية الأمريكى باستنكار هذا المقال والمطالبة بإرغام المجلة على الاعتذار (الأهرام ١٤ / ٣ / ٢٠٠٢ م) . .

ولست أرى ما يدعو إلى التركيز على هذا الكاتب ، فالناس على دين ملوكهم ، فقد وجه الرئيس الأمريكى بوش تحذيرات شديدة اللهجة إلى العراق ، وأعلن أن كل الخيارات مطروحة للتعامل مع العراق بما فيها استخدام الأسلحة الذرية . . !!

وكشف تقرير للبنتاجون أن إدارة بوش تطور قنابل نووية جديدة قادرة على تدمير الأهداف المدفونة والمحصنة فى أعماق الأرض ، وادعى التقرير أن هذه الأهداف موجودة فى سبعين دولة . . (الأهرام ١٦ / ٣ / ٢٠٠٢ م)

فلنتأمل أن دولة واحدة ستهاجم سبعين دولة بأسلحة نووية ، ماذا يعنى ذلك ؟!

إذا لم يكن هذا بعينه هو الطغيان والاستكبار والإرهاب فماذا يكون ؟!

وإذا لم تكن تلك هى الحرب العالمية الثالثة ، فماذا تسمى ؟!

إن الحرب العالمية الأولى قامت على تخوف من الرجل المريض ، ذلك الوصف الذى أطلق على الخلافة التركية الإسلامية فهل يعيد التاريخ نفسه ويقف الغرب الصليبى فى مواجهة الإسلام مرة أخرى ؟!

إن غدًا لناظره قريب ، وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون . .

وأقول وأكرر إننا لا نلوم أعداءنا على ما يضمرون من أحقاد أو يعملون من إرهاب وإنما نلوم أنفسنا على تقصيرنا فى حقوقنا وتخاذلنا عن الدفاع عن مقدساتنا وكرامتنا . .

قال تعالى : ﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ (٢٠) طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ (٢١) ﴾ [محمد : ٢٠ ، ٢١] .

● **صفعة دولية لأمريكا :**

الولايات المتحدة الأمريكية ملأت الدنيا صياحًا حول حقوق الإنسان ، وهى الدولة التى قامت على العنصرية البغيضة فقضت على الهنود الحمر ، وتواصل سياستها فى الاضطهاد العنصرى للسود على أرضها ، وتتدخل فى شئون الدول النامية لفرض سيطرتها بدعوى حقوق الإنسان ، وتستخدم حق الڤيتو حتى يظل الاستعمار الصهيونى جاثمًا على صدر العرب والمسلمين . . !!

لقد سئم العالم من الدعاوى الكاذبة والشعارات الزائفة التى ترفعها الولايات المتحدة الأمريكية ، وأخيرًا طردها العالم من اللجنة الدولية لحقوق الإنسان يوم الخميس ٣ / ٥ / ٢٠٠١ م بعد أن ظلت محتفظة بمقعدها منذ عام ١٩٤٧ م . .

وفى مقابل ذلك طالب الكونجرس الأمريكى بوقف المساعدات المقدمة للدول التى صوتت ضد الولايات المتحدة . . !!

كما طالب الكونجرس بعدم سداد الديون المستحقة للأمم المتحدة وهيئة اليونيسكو ، والتى تقدر بخمسين وستمائة مليون دولار . .

وكانت الولايات المتحدة الأمريكية قد انسحبت من منظمة اليونيسكو منذ سبعة عشر عامًا احتجاجًا على سعى المنظمة للحفاظ على تراث العالم النامى والعمل على نشره . . !!

أرأيت كيف تكون راعية السلام العالمى وداعية حقوق الإنسان ؟! إن الولايات المتحدة الأمريكية لا تريد إلا الهيمنة والسيطرة ونشر ثقافتها على العالم أجمع . .

والسؤال المطروح الآن :

هل تصلح الأمم المتحدة بنظامها الحالى لتقوم بدورها المنشود فى حفظ السلام والأمن العالميين ؟!

وهل يمكن للأمم المتحدة تحت ضغوط دول الڤيتو أن تواصل مسيرة وجودها ؟!

ستبدى لك الأيام ما كنت جاهلاً ويأتيك بالأخبار من لم تزود

● **صفعة لبنانية لأمريكا :**

لبنان دولة عربية متعددة الطوائف والمذاهب ، لا تملك القدرة العسكرية للدفاع عن نفسها ، وقد عانت طويلاً من الحرب الأهلية التى أزكى أوارها القوى الصليبية والصهيونية . .

ومع ذلك فإن الحكومة اللبنانية الحالية قد وقفت موقفًا قويًا موحدًا ، لا يقوى على مثله إلا أصحاب الإرادة الحرة الباسلة ، لقد أرسلت الولايات المتحدة الأمريكية قائمة بمطالبها من لبنان ، وعلى رأس هذه القائمة تجميد أرصدة حزب الله واعتباره منظمة إرهابية . . !!

وقد أعلن لبنان رفضه للمطالب الأمريكية بصوت عال قوى ، وأكد الرئيس اللبنانى إميل لحود رفض بلاده القاطع تجميد أرصدة حزب الله وقال :

إن لبنان يتمسك بثوابت موقفه الذى لن يتغير ، وهو ضرورة التمييز بين الإرهاب المرفوض وبين المقاومة المشروعة . . وقال لحود :

كنا نتمنى أن تتضمن اللوائح الأمريكية اسم إسرائيل كدولة إرهابية ، ولكن المؤسف أن هناك معايير مزدوجة للنظرة إلى الأمور . .

وقال لحود : إن لبنان رفض ومنذ اليوم الأول لأحداث الولايات المتحدة اعتبار المقاومة الوطنية منظمة إرهابية . . !!

وقال : إن القضاء على الإرهاب لا يكون إلا بالنضال من أجل تحقيق العدالة سياسيًا واجتماعيًا ، وإنه من الظلم الفادح إغفال ما ترتكبه إسرائيل من إرهاب على الشعب الفلسطينى كل يوم والتركيز على أفغانستان . . !!

وأقول : أيها السادة :

إن ضعفاء العالم يستطيعون أن يقولوا : لا ، ولو كان المسلمون ذبابًا يصل عدده إلى مليار لصم طنينه آذان القوة الأمريكية الطاغية ، ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون . . !!

● الكذب الأحمق :

أعلن تونى بلير رئيس وزراء بريطانيا فى مؤتمر صحفى مع چورچ بوش رئيس الولايات المتحدة الأمريكية فى أوائل شهر إبريل سنة ٢٠٠٢ م أن التنسيق قائم بينهما لملاحقة العراق وتوجيه ضربة عسكرية قاصمة لسببين رئيسيين هما :

١ - عدم التزام العراق بقرارات الشرعية الدولية .

٢ - قيام العراق بتطوير أسلحة الدمار الشامل .

وأقول : إذا لم يكن هذا هو الكذب الأحمق فماذا يكون ؟ وأذكرهم بقول الله تعالى : ﴿ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (٩) فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ (١٠) ﴾ [البقرة : ٩ ، ١٠] .

إن الإرهاب البريطانى والأمريكى هو الذى يطارد العالم اليوم ، ويمنح إسرائيل القوة الغاشمة لسحق الشعب الفلسطينى . .

ولقد نشرت صحيفة الأهرام (١١ / ٤ / ٢٠٠٢ م) أن مجلس الأمن الدولى تبنى مائتين وثلاثة وأربعين قرارًا يتعلق بالصراع العربى الإسرائيلى على مدى خمسين عامًا ولم تلتزم إسرائيل بأى قرار ضدها ، ومنعت الولايات المتحدة ثلاثين قرارًا يلوم إسرائيل من الصدور باستخدام حق الڤيتو . . !!

فمن الذى لا يلتزم بالقرارات الدولية ؟!

وإسرائيل تمتلك أسلحة نووية ، وتطور كافة أنواع الأسلحة المحرمة دوليًا ، وتفتح لها أمريكا ترسانتها العسكرية كى تبيد شعبًا أعزل لا يملك طائرة ولا دبابة ولا صاروخًا ولا مدفعًا . . !!

ولا يخجل بوش من وصف الجهاد الفلسطينى بالإرهاب ، ألا لعنة الله على الكاذبين . . !!

إن زعماء الإرهاب الأوربى والأمريكى قد أعمتهم القوة الحمقاء وستكون دمارًا عليهم واستئصالاً لشأفتهم . .

وصدق الله حيث يقول :

﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الأَرْضِ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٨٢) ﴾ [غافر : ٨٢] .

● **فتاوى أمريكية وبريطانية :**

تناقلت الصحف بتاريخ ١٨ / ٤ / ٢٠٠٢ م أن الرئيس الأمريكى بوش قال فى خطاب ألقاه أمام أكاديمية عسكرية فى ولاية فيرچينيا : إنه يجب على الدول العربية أن تتحمل مسئولياتها فى مكافحة الإرهاب ولابد أن يقولوا بوضوح إن من يفجر نفسه ذكرًا كان أو أنثى هو مجرد قاتل وليس شهيدًا . . !!

وفى اليوم التالى نشرت الصحف أن الحكومة البريطانية تنوى استدعاء سفير المملكة العربية السعودية للإعراب عن استيائها لنظمه قصيدة شعرية قال فيها إن الذين يقومون بعمليات فدائية إنما يفعلون ذلك لرفع كلمة الله ، وقالت الخارجية البريطانية إنها تعتبر العمليات الانتحارية نوعًا من الإرهاب . . !!

وتتوالى التصريحات القذرة فيصف المتحدث الرسمى للبيت الأبيض الأمريكى السفاح « شارون » بأنه رجل سلام . . !!

ويؤكد الرئيس الأمريكى بوش هذا الوصف ويبرره بأن « شارون » يريد أن تحيا بلاده فى سلام مع جيرانها ويقبل فكرة إقامة دولة فلسطينية . . !!

ويعلن كولين باول وزير الخارجية الأمريكى فى إسرائيل أنه يتفهم دوافع إسرائيل فى الحفاظ على الأمن . . !!

وتأتى هذه التصريحات عقب المذابح التى ارتكبها شارون فى مخيم جنين والمدن الفلسطينية والتى أجمع العالم كله على أنها كارثة أخلاقية تتضاءل دونها مذابح هتلر فى الحرب العالمية الثانية . . فمتى يفيق العرب والمسلمون أمام هذا التضليل السياسى والإرهاب الأمريكى ؟!

ومتى نكف عن استجداء حقوقنا من أعدائنا ؟!

إن الذئب لن يتحول إلى حمل ، وإن الثعلب لن يتجرد من مكره ، ولن يلتفت إلينا أحد حتى يشيب الغراب . .

وما لم يتحرك العرب والمسلمون لمواجهة هذه الكارثة المروعة فلن تقف حدودها عند فلسطين ومحاصرة ياسر عرفات بل ستتواصل الكوارث إلى مضجع كل حاكم ، وإلى مأمن كل مواطن ، وستحقق حلمها من النيل إلى الفرات . .

● الحكمة يمانية :

تحيط بالأمة الإسلامية اليوم بأساء شديدة جعلت المفكرين والسياسيين حيارى ، وأفقدت الكثير منهم توازن الفكر وسلامة الوعى ، ومع ذلك فإن ومضات من صدق العقيدة وصحة المنطق تنطلق من هنا وهناك لتؤكد أن نبضات هذه الأمة مازالت تتمتع بالحياة . .

لقد أصدر مجلس النواب اليمنى بيانا يوم ٢٨ / ١٠ / ٢٠٠١ م أكد فيه أن الحرب التى تمارسها الولايات المتحدة الأمريكية من طرف واحد ضد الشعب الأفغانى المسلم تمثل اعتداء واضحاً لا يمكن القبول به أو التغاضى عنه . .

وقال : إن الولايات المتحدة الأمريكية ـ وهى القوة العسكرية الأولى فى العالم ـ تجاوزت الحدود الإنسانية والأخلاقية والقانونية فى حملتها المسعورة ضد الشعب الأفغانى الأعزل ، وفى تغاضيها عن عدوانية ووحشية الأعمال الإسرائيلية تجاه الشعب والمدن الفلسطينية . .

وأضاف البيان : إن السياسة العدوانية الأمريكية والغربية ستزيد من تنافر الحضارات وتصارعها ، وستنهى تآلف الشعوب بمختلف انتماءاتها العقدية . .

ودعا المجلس الدول الإسلامية لرفض منطق التمييز بين البشر الذى تمارسه الولايات المتحدة الأمريكية وحلفاؤها ، والذى يستهدف المسلمين شعوبًا ومنظمات وجمعيات ، وطلب من الحكومات الإسلامية عدم الموافقة على سفك دم أى مسلم فى أى بلد كان . .

وعبّر المجلس عن ارتياحه لصدور فتوى من علماء اليمن تحرم التعاون مع أمريكا فى حملتها ضد أفغانستان ، ودعا الحكومة اليمنية والحكومات العربية إلى وقف أى تعاون مع أمريكا فى حربها ضد المسلمين . .

تحية لشعب اليمن ولمجلس نوابه فالشىء من معدنه لا يستغرب ، وقد أثنى عليهم رسول الله ﷺ فقال : « **أتاكم أهل اليمن ، هم أرق أفئدة وألين قلوبًا ، الإيمان يمان والحكمة يمانية** » .

● قالوا عن بوش :

يتطاول الرئيس الأمريكى چورچ بوش على العالم ، ويتصرف وكأنه الحاكم بأمر الله على هذه الأرض ، ويبسط قوته العسكرية فى أطراف هذه المعمورة لا يعبأ بحدود سياسية ولا يكترث بقوانين دولية ولا يحرص على قيم إنسانية ، ويعيد مقالة فرعون :

﴿ **... مَا أُرِيكُمْ إِلاَّ مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلاَّ سَبِيلَ الرَّشَادِ** (٢٩) ﴾ [غافر : ٢٩] .

ويسير على نفس الخط الفرعونى الذى عبّر عنه القرآن الكريم بقوله : ﴿ **إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلا فِي الأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ** (٤) ﴾ [القصص : ٤] .

وقد توالت أوصاف للرئيس الأمريكى أذاعتها وكالات الأنباء ونشرتها الصحف تعبر تعبيرًا دقيقًا عن شخصية هذا الرجل العاتى . . منها على سبيل المثال :

* قالت مادلين أولبرايت وزيرة الخارجية الأمريكية السابقة : « إن إدارة الحزب

الجمهورى الحالية فقدت صوابها فيما يتصل بشئون السياسة الخارجية للولايات المتحدة » .

* وفى بيان لوزارة الخارجية الكورية الشمالية وصف الرئيس بوش بأنه يعانى جذامًا أخلاقيًا . . (الأهرام ٣ / ٢ / ٢٠٠٢ م)

* قال المتحدث باسم وزارة الخارجية فى كوريا الشمالية : إن بوش طفل متخلف سياسيًا . . !! (الأهرام ٢٣ / ٢ / ٢٠٠٢ م) .

* وقال الرئيس الإيرانى السابق رافسنجانى : إن بوش له عقل عصفور فى رأس ديناصور . (الأهرام ٢٤ / ٢ / ٢٠٠٢ م)

أيًا كانت الأوصاف التى تطلق على الرئيس الأمريكى فإنى أذكره بعبرة التاريخ وسنة الله فى ملاحقة الطغاة ، قال تعالى : ﴿ . . . أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلا يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ [القصص : ٧٨] .

● الحقيقة المرة :

فى أول مايو سنة ٢٠٠٢ م وافق مجلس الشيوخ الأمريكى على قرار ينص على أن الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل مشتركتان فى نضال مشترك ضد الإرهاب ، مؤكدًا حق إسرائيل فى الدفاع عن نفسها ، وضرورة تفكيك البنية التحتية « الإرهابية » لدى الأطراف الفلسطينية ، وأهمية مواصلة تقديم المساعدات لإسرائيل لدعم أمنها الداخلى . . !!

كما أصدر مجلس النواب الأمريكى فى نفس اليوم قرارًا يتهم عرفات بمساندة الإرهاب ، وقال النائب الديمقراطى توم لانتوس : فليعلم كل إرهابى أن الشعب الأمريكى لن يتخلى عن إسرائيل . . !!

وطالب زعيم الأغلبية الجمهورية بالمجلس صراحة بطرد الفلسطينيين من الضفة الغربية وقطاع غزة وفرض السيادة الإسرائيلية كاملة على أرض الضفة . . !!

إلى متى يتغافل العرب والمسلمون عن حقيقة مرة هى أن أمريكا هى إسرائيل ، وأن إسرائيل هى العضو الدائم فى مجلس الأمن تحت لافتة «الولايات المتحدة الأمريكية»؟!

ومتى ندرك أن الأمم المتحدة لا قيمة لها ولا جدوى منها طالما كانت الولايات المتحدة تهيمن على شئونها وتتحكم فى قراراتها وتجندها لخدمة أغراضها الدنيئة فى استعباد الشعوب والسيطرة على مصادر الطاقة فى العالم . . ؟!

ومتى ظل هؤلاء السفاحون فى إسرائيل وأمريكا ينظرون إلى الفلسطينيين المجاهدين على أنهم إرهابيون فلن يتحقق السلام فى الشرق الأوسط . .

إن هناك حقيقة غائبة هى أن إسرائيل قامت على عقيدة صهيونية وأساطير دينية وأوهام توراتية واستطاعت أن تخترق النصرانية وتجعل من العالم الصليبى مدافعًا عن قضيتهم الباطلة . .

ولن يغلب توراة اليهود إلا قرآن المسلمين . .

ولن ينهزم حزب الشيطان إلا تحت ضربات حزب الله . .

ولن يعود الحق الإسلامى إلا بالجهاد الإسلامى . .

● خطايا أمريكية:

نشرت صحيفة فرنسية[1] على لسان باحثة أمريكية تدعى فيليس بينيس ، أن الولايات المتحدة الأمريكية تضرب عرض الحائط بكل الأعراف والقوانين الدولية ، وأن واشنطن تريد الانفراد بتحديد معايير الحياة الدولية ، وترفض التوقيع على معاهدات واتفاقات دولية تهم الإنسان فى كل مكان ، ولا تساعد الدول الصغيرة إلا بمعاييرها ، وتتقاعس عن دعم ومساعدة الأمم المتحدة بما يمكنها من القيام بدورها ، وتحول حلف الأطلنطى إلى أداة عسكرية فى خدمتها . . !!

أيها السادة : إن نظام العولمة الحديث لا يعنى إلا فرض السيادة الأمريكية بكل جبروتها وطغيانها وفسادها ، وأصحاب هذا النظام يخدعون البلهاء بدعاوى حقوق الإنسان والسلام العالمى والرخاء الدولى . .

ونحن أمة الإسلام نستطيع بثقافتنا وأموالنا وخيرات أرضنا أن نقف فى وجه العولمة الأمريكية ، ونعيد للعقلية الإنسانية توازنها ، ونمنح البشرية أمانًا واستقرارًا ورخاء . .

(١) نقلا عن صحيفة الأهرام ٢٠٠٠/٣/١١م .

فقيم الإسلام هى الملاذ الآمن لعقل البشرية الحائر اليوم وكل يوم ، وإن بترول المسلمين يستطيع أن يؤثر فى مسيرة الاقتصاد العالمى ، وإن الدول الإسلامية يمكن أن تلعب دورًا رئيسيًا فى السياسة العالمية من خلال المنظمات الدولية . .

لكن مشكلة المشاكل هى فى فقد الإرادة السياسية الواحدة لأمتنا ، وضياع التنسيق فى الجبهة الإسلامية ، وغياب الوعى الدينى لدى كبرائنا والمسيطرين على سدة الأمور فينا . .

﴿ وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾ .

[آل عمران ١٢٠]



المشهد الثالث

فلسطين بين الصهيونية والصليبية



المشهد الثالث

فلسطين بين الصهيونية والصليبية

● لقاء شيطانى:

أثناء زيارة الرئيس الأمريكى بيل كلينتون لإسرائيل فى شهر ديسمبر ١٩٩٨ م ، حكى الرئيس الأمريكى حادثة وقعت له قبل توليه الرئاسة ، وهى أن راعى إحدى الكنائس قال له : إنك ستصبح رئيسًا ذات يوم ، وسترتكب أخطاء ، وسيغفر لك الرب ، لكن الرب لن يغفر لك أبدًا إذا نسيت دولة إسرائيل . . !!

ونقول : إن العقدة الآن هى التقاء الاستيطان الصهيونى مع الزحف الصليبى فى محاولة يائسة للقضاء على الإسلام والمسلمين . .

وإن عقدة العقد هى ارتباط هذا الالتقاء الشيطانى بعقيدة دينية لدى الطرفين ، فاليهود يتحدثون عن حقوق توراتية فى فلسطين ، وعن آمال معسولة للسيطرة على العالم تحت حكم ملك اليهود . .

وبما أن العهد القديم جزء من الكتاب المقدس لدى النصارى فإن النصارى يجدون أنفسهم فى جاذبية شديدة نحو اليهود دعمًا ومساندة . . ويتوهمون كذبًا أن هؤلاء اليهود سيبدلون عقيدتهم ويمرغون جباههم فى أعتاب الكنيسة النصرانية . .

ولعل وثيقة تبرئة اليهود من دم المسيح التى أصدرها المجمع المسكونى بروما عام ١٩٦٥ م كانت مقدمة لحرب عام ١٩٦٧ م . .

ولن يضير المسلمين هذه الأحقاد والضغائن طالما تمسك المسلمون بدينهم واعتصموا بحبل الله . .

وإن القوة الغاشمة التى يملكها حزب الشيطان اليوم لن تدوم إلى الأبد ، فالحق أبقى من القوة ، والعدل أقوى من الباطل ، وصدق الله حيث يقول :

﴿ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ ﴾ . .

وننبه إلى ضرورة تكاتف حكماء الأمة وعقلائها فى محاصرة دعاة التغريب ، وأذناب الاستعمار الحديث ، ومخلفات الفكر المادى لكى ينسحب هؤلاء المرجفون من حركة البناء المعاصرة للمجتمع الإسلامى ، وينزووا فى قواقع طينية تحت مواطئ الأقدام وفى جوف الثرى . .

● موت كلينتون :

نشرت الصحف بتاريخ ٢٠٠٢/٨/٤ أن الرئيس الأمريكى السابق بيل كلينتون أكد أنه على استعداد لحمل السلاح للقتال والموت دفاعا عن إسرائيل . .!!

ولاندرى سر هذا الحب الجارف الذى يصل إلى حد التضحية بالنفس من أجل دولة إرهابية غاصبة قامت على أنقاض شعب بمؤازرة قوى الشر فى بريطانيا والولايات المتحدة . . ألا يؤكد هذ الحب الوحشى الحقد البغيض الذى يكمن فى قلوب هؤلاء الأشرار ، الذين لايعرفون قيما ولايقدسون حقا ولايحترمون كرامة الإنسان ؟!

إن هناك عقيدة جديدة ظهرت من اختراق الصهيونية للنصرانية تقدم هجينا خبيثا لا إلى هؤلاء ولا إلى أولئك ، هذه العقيدة الجديدة تسيطر على القيادة السياسية الأمريكية لتجعل من الولايات المتحدة الشيطان الأكبر فى عالم اليوم . .

ذلكم الشيطان الذى يسعى لرسم خريطة العالم بما يتلاءم مع السيطرة الكاملة على مصادر الطاقة ، وسوق البشر سوقا للركوع تحت أقدام ملك إسرائيل . .

لقد سمعت تعليقا فى فجر اليوم الأول لعاصفة الصحراء سنة ١٩٩١ ، منسوبا لأحد كبار القادة العسكريين الغربيين يقول فيه : الآن يكتب التاريخ من جديد . .!!

ومازال المسرح مفتوحا . .!! وتواصل الولايات المتحدة خطتها لتقسيم العراق والسودان ، والبقية تأتى!!

فليمت كلينتون حيث شاء فإنها ميتة شوهاء ، ولتقم الولايات المتحدة بما تريد فإنها ستلقى عاقبة كل جبار عنيد . .

● **المنطق الأمريكى:**

قامت الطائرات الأمريكية والبريطانية مساء الجمعة ١٦ / ٢ / ٢٠٠١ م بغارات جوية على العراق ودمرت مواقع عسكرية ومدنية وقتلت وجرحت رجالاً ونساء وأطفالاً . . !!

والعجب العجاب وكبرى الأكاذيب ما أعلنه المسئولون فى البنتاجون أن الهجوم جاء رداً على الاستفزازات العراقية لقوى الاحتلال الأمريكى ولحماية العسكريين الأمريكيين وللدفاع عن النفس . . !!

بالله عليكم هل سمعتم شيطانًا من قبل يتذرع بمثل هذه الأباطيل ؟!

هل احتلال العراق وفرض الحظر الجوى داخل أراضيه حق أمريكى ؟!

هل يجب على شعب العراق أن يحمى القواعد العسكرية الأمريكية فوق أرضه؟!

هل القانون الدولى يفرض علينا – نحن العرب والمسلمين – أن نذل ونخزى أمام الطغيان الأمريكى ؟!

إن المنطق الأمريكى هو نفس المنطق الصهيونى الذى يجعل من نضال الشعب الفلسطينى ضد الاحتلال ، والجهاد المقدس ضد الاستعمار جريمة نكراء . . !!

إن المنطق الأمريكى غبى ، حاقد ، غشوم ، يظن أن العالم لا يفهم معنى الدفاع عن النفس . . !!

أيها العرب وأيها المسلمون أفيقوا ، ولقنوا الأمريكيين والبريطانيين وأحفاد القردة والخنازير درسًا بليغًا فى معنى الجهاد المقدس وحقوق الإنسان ، وانطلقوا من عقيدتكم الإسلامية ، ودعوكم من المواثيق الدولية التى لا تحترم ، واستدبروا أبواب الأمم المتحدة التى تمسك بمفاتيحها عصابات إرهابية تعرف بالدول الكبرى . . !!

وتذكروا قول الله تعالى :

﴿ **فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا (٧٤)** ﴾ [النساء : ٧٤] .

● **العدوان مستمر:**

أثناء زيارة رئيس وزراء كندا لإسرائيل خلال شهر إبريل سنة ٢٠٠٠ م تسربت أنباء تفيد أنه تجرى محاولات دولية لتوطين آلاف مؤلفة من الفلسطينيين فى كندا . .

وهكذا يتواصل تواطؤ العالم لانتهاك حرمات الفلسطينيين ، وتكريس الاحتلال الصهيونى لأرض المسلمين فى غيبة الوعى لأكثر من مليار مسلم . .

إن العبارة التى قالها جمال عبدالناصر : « لقد أعطى من لا يملك وعدًا لمن لا يستحق ثم استطاع الاثنان معًا بالمكر والخديعة أن يسلبا صاحب الحق حقه » . .

هذه العبارة ما زالت هى السائدة فى عالم اليوم ، تحطم كل القوانين ، وتتخطى كل القيم ، وتعبث بكل الأعراف الدولية . .

وها نحن أولاء نركض وراء هؤلاء العابثين طمعًا فى بعض الحق ، ولا أحد يتلفت إلينا أو يعيرنا اهتمامًا بعد أن فرطنا فى ديننا وطغت علينا كل مظاهر التقليد الأعمى والانسياق المجرد والتبعية الذليلة . .

إن أمة تفرقت شيعًا وأحزابًا ، وتغلبت عليها الأثرة والأنانية لا يمكن أن تسترد حقًا أو تعيد أرضًا أو تصون عرضًا أو تحافظ على مقدسات . . !!

فيأيها المسلمون لو كنتم ذبابًا لأصم طنينكم آذان الاستعمار !! كما قال جمال الدين الأفغانى . .

نحن نردد فى صلواتنا الجامعة :

استقيموا يرحمكم الله ، سووا صفوفكم ، أكملوا الصف الأول فالأول ، استحضروا عظمة الله فى قلوبكم . .

فهل نفهم هذا الدعاء ؟! وهل نستطيع الالتزام به فى عصر العولمة ؟!!

● **اتفاقات أوسلو:**

انقسم الناس حيال اتفاقات أوسلو ومدريد عام ١٩٩٣ إلى قسمين :

١ - قسم تناسى عبرة التاريخ وتغافل عن طبيعة اليهود ، وتفاءل بمستقبل أفضل للفلسطينيين . .

٢ - قسم ظل على وعيه بالتاريخ وتفطن إلى العقلية العنصرية لليهود ، وأيقن أنه لا حل مع استمرار دولة إسرائيل التى تغتصب الأرض وتستولى على المقدسات وتسعى لتحقيق أحلامها الصهيونية . .

وقد مضى الآن عقد من الزمان تقريبًا وأثبتت الأيام صدق الفريق الثانى وتهافت الفريق الأول ، وتبين أن هؤلاء المتفائلين وقعوا فى خداع السراب ، ولم يتحقق شىء مما وقعوا عليه مع اليهود وضمنته الولايات المتحدة وشهد عليه العالم . .

وازداد الأمر سوءاً وتعقدت المشاكل ، واشتد البطش اليهودى حتى أقدموا على وضع حجر الأساس للهيكل الثالث المزعوم فى ساحة القدس الشريف يوم الأحد ٢٩ / ٧ / ٢٠٠١ م ، ومضت الخطط الصهيونية على منوالها المرسوم . .

وفى حوار صحفى مع الفيلسوف والناقد « ناعوم تشومسكى » نشر فى صحيفة لوس أنجلوس تايمز الأمريكية ونشرته صحيفة الأهرام (١٥ / ٨ / ٢٠٠١ م) قال :

إن واشنطن تؤيد إسرائيل فى تحديها للقرارات والمبادئ الدولية ، وتعرقل التوصل إلى اتفاقية شاملة تضمن للفلسطينيين إقامة دولة مستقلة . .

وإن اتفاقات أوسلو بنيت على أسس استعمارية جديدة ترمى إلى استمرار اعتماد الفلسطينيين على إسرائيل اعتمادًا أبديًا . .

وإن مفهوم الحرب فى إسرائيل لم يتغير باتفاقات أوسلو رغم تغير الشكليات وليس فى الإمكان تجنب حرب استعمارية شريرة . .

وإن إسرائيل تطبق مقولة موشى ديان : على الفلسطينيين أن يعيشوا كالكلاب ومن لا يعجبه ذلك فليغادر . . !!

فهل يعود الوعى للعرب والمسلمين ؟!

﴿ . . وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم ﴿٣٨﴾ ﴾ [**محمد : ٣٨**]

● حاخامات إسرائيل :

فى يوم واحد وفى صحيفة واحدة قرأت هذه التصريحات لحاخامات إسرائيل (الأهرام ٢٨ / ٧ / ٢٠٠١ م) :

* منح حاخام إسرائيل الأكبر (مانير لاو) مباركته لقيام قوات الاحتلال بقتل واغتيال الفلسطينيين بدعوى أن إسرائيل فى حالة الحرب التى تتطلب اتباع سياسة هجومية . . !!
* استأنف الحاخام (عوفاديا يوسف) الزعيم الروحى لحركة شاس هجومه العنصرى على العرب زاعمًا أنهم يتكاثرون مثل النمل . . وقال : تبّاً لهم فليذهبوا إلى الجحيم . . !!

وكان الحاخام قد نعت العرب قبل شهور بأنهم أسوأ من الثعابين . . !!

وانتقد الحاخام الضغوط الدولية على حكومة شارون قائلاً : من تكون تلك الأم فى العالم ؟!

كما ندد بشارون نفسه قائلاً : إن رئيس الوزراء الإسرائيلى لا يقوم بما يجب عليه القيام به ، لأنه يخشى أن تدينه أمم العالم وتحتقره . . !!

هذه نماذج يسيرة من فكر السلطة الدينية الصهيونية فى إسرائيل ، فما بال مشايخنا وعلمائنا رضى الله عنهم وأرضاهم يصرون على مقولات السلام الرخيص ، وحوار الأديان الباهت ، وأفكار التعايش البغيض مع إخوان القردة والخنازير ؟!

ألا ليت قومى ينفضون عن عيونهم الغشاوة ، وعن عقولهم الجهالة ، وعن وعيهم الغباوة فيعبرون عن الإسلام الذى ائتمنهم الله عليه ويعملون بالجهاد الذى أمرهم الله به ، ولا ينسلخون من العلم الذى شرفهم الله به ، فيصدق فيهم قول الله تعالى :

﴿ **وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ (١٧٥) وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (١٧٦)** ﴾ [**الأعراف** : ١٧٥ - ١٧٦] .

● فتوى الحاخام الأكبر:

عندما عين الفريق سعد الدين الشاذلى سفيرًا لمصر فى إحدى العواصم الأوربية بعد حرب أكتوبر سنة ١٩٧٣ م ، واجهته ضجة إعلامية صهيونية باعتباره رئيسًا

لهيئة أركان القوات المسلحة المصرية فى معركة العبور ، وأخذوا عليه أنه كان يحرض الجنود المصريين على القضاء على الجيش الإسرائيلى ، وأنه اعتمد على الآية الكريمة : ﴿ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ ... (١٩١) ﴾ [البقرة : ١٩١] ، والآية الكريمة : ﴿ قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ (١٤) ﴾ [التوبة : ١٤] .

فكان جواب الفريق سعد الدين الشاذلى :

بماذا أنصح جنودى الذين يقابلون عدوهم فى ميدان المعركة ؟!

هل أقول لهم : خذوهم بالأحضان وقدموا لهم الورود وألقوا إليهم السلاح ؟

تذكرت هذا الموقف وأنا أقرأ تصريحات الحاخام الأكبر لإسرائيل يدعو فيها الشيخ أحمد ياسين والشيخ حسن نصرالله وعلماء المسلمين إلى إلغاء الفتوى الخاصة باعتبار العمليات الفدائية استشهادية ، ومنفذيها شهداء . . !!

وأقول لإخوان القردة والخنازير :

هل تريدون أن تستبيحوا حرمات المسلمين ومقدساتهم ، وتحصدوا نساءهم وأطفالهم وشيوخهم دون مقاومة ؟!

هل تريدون هدم المنازل وحرق الزروع وإهلاك الحرث والنسل دون إزعاج ؟!

أيها اليهود عودوا من حيث جئتم واتركوا الأرض لأهلها فإن مقامكم فيها لن تحسن عاقبته ، وسيتحقق وعيد الله فيكم بتدمير كل ما شيدتم تصديقًا بقول الله تعالى :

﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٦٧) ﴾ [الأعراف : ١٦٧] .

● كذب الحاخام الكبير:

نشرت صحيفة «الجارديان» البريطانية فى ٢٠٠٢/٨/٢٧ حديثا لكبير حاخامات اليهود فى بريطانيا ، انتقد فيه السياسة القمعية التى تنتهجها

إسرائيل إزاء الفلسطينيين ، مؤكدا أن هذه السياسة القمعية تتنافى مع قيم الديانة اليهودية . .!!

وأقول : إن هذا الحاخام كاذب ، وليس هناك قيم للديانة اليهودية التى تدين بها إسرائيل . فهى ديانة عنصرية ، فإلههم هو إله العبرانيين أو إله إسرائيل فقط وليس إله العالمين . . وشعارهم ماحكاه القرآن المجيد فى قوله «ليس علينا فى الأميين سبيل »

ونظرة اليهود إلى الشعوب الأخرى نظرة استعباد وتقتيل وتشريد فى حالتى السلم والحرب . .

ولنقرأ هذا التوجيه العنصرى البغيض من سفر التثنية : «حين تقرب من مدينة لكي تحاربها استدعها إلى الصلح ، فإن أجابتك إلى الصلح وفتحت لك . فكل الشعب الموجود فيها يكون للتسخير ، ويستعبد لك .

وإذا لم تسالمك بل عملت معك حربا فحاصرها ، وإذا دفعها الرب إلهك إلى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف ، وأما النساء والأطفال والبهائم وكل ما في المدينة ، كل غنيمتها ، فتغنمها لنفسك . .

وأما مدن هؤلاء الشعوب التى يعطيك الرب إلهك نصيبا فلا تستبق منها نسمة ، الحثيين ، والآموريين ، والكنعانيين ، والفرزيين ، والحويين . واليبوسيين» .

هذا هو الاتجاه المفزع في العقيدة الدينية اليهودية ، وقد اتخذ اسما حديثا هو الصهيونية التى اعتبرتها الأمم المتحدة سنة ١٩٧٥ حركة عنصرية ، ثم عادت ونقضت قرارها سنة ١٩٩١ تحت تهديد الولايات المتحدة الأمريكية راعية الإرهاب العالمى الحديث !!

● القوة الحمقى:

طالعتنا الصحف بهذه العناوين :

بوش يطالب عرفات بوقف العمليات الفدائية والقبض على مرتكبيها ، ويطالب شارون بضبط النفس وعدم الإفراط فى استخدام القوة . . !!

وقلت : سبحان الله . . ما هذا القلب للحقائق ؟! المطلوب من المجنى عليه أن يقف مكتوف الأيدى أمام قتله وسحقه وسلب أرضه وتدنيس مقدساته ووأد أطفاله . . !!

والمطلوب من المجرم الجانى أن يرتكب جريمته بهدوء ومن غير انفعال وأن يواصل فعلته الشنعاء بأقل قدر من الخسائر . . !!

هذا هو منطق الولايات المتحدة الأمريكية ، وهو منطق يدل على أحد أمرين : إما الغباء من المتكلم وهو مستبعد وإما الغباء من السامع وهو المراد . .

وهذا المنطق الأرعن هو نفسه المنطق الذى تمارسه الولايات المتحدة وبريطانيا فى العراق عندما فرضتا - فى غيبة الحق والعدل - منطقة الحظر الجوى فوق أرض العراق ، ومنعتا العراقيين من ممارسة سيادتهم على أرضهم . .

ويتوالى الاعتداء الغاشم على العراقيين كلما حاولوا مقاومة هذا الحظر ، وتصدر البيانات من واشنطن ولندن بحق الدولتين الآثمتين فى الدفاع عن جنودهم فى وجه الخطر العراقى الذى يؤرقهم . . !!

يا لله للمسلمين . .

القوات المحتلة لها حق الدفاع عن النفس أما الشعب المستضعف فلا حق له فى الحياة ، أليس هذا من العجائب وقلب الحقائق وتزيين القبيح وخداع الضمير ووأد القيم ؟!

والأدهى والأمر أن ذلك يفعل تحت سمع القانون وبصر العالم وصمت الأمم المتحدة . .

ومع ذلك فإن الأمل فى وجه الله لا ينقطع ، ولنتذكر قول الله تعالى : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ (٤٤) سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ (٤٥) بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ (٤٦) ﴾ [القمر : ٤٤ - ٤٦] .

● **الهيكل الثالث:**

تمنع إسرائيل وصول المساعدات الغذائية والطبية إلى فلسطين المحتلة ، وترفض الأمم المتحدة بزعامة أمريكا توفير الحماية الدولية للشعب الفلسطينى ، ويفشل العرب فى تنفيذ قرار وقف الاتصالات السياسية مع إسرائيل عندما يذهب وزير خارجية موريتانيا إلى الدولة العبرية بعد ساعات من صدور القرار ، ويتساقط

الشهداء الفلسطينيون كل يوم رجالاً ونساء وأطفالاً ، ويقف العرب والمسلمون خائرين حائرين مترنحين ، يتشدقون بخيار السلام الاستراتيچى ، وبمبدأ الأرض مقابل السلام ، ومرجعية مدريد . . إلخ .

كل ذلك يحدث بلا وعى عربى ولا تخطيط ولا تعاون ولا مسئولية ، بينما تسير إسرائيل بخطوات محسوبة وبرامج مدروسة وأهداف محددة على مدى أحقاب من الزمان ، ويتولى كل جيل وكل حزب تنفيذ المهمة المسندة إليه ، فكلما عاهد فريق منهم نبذ فريق آخر ، وكلما تظاهر حزب بالسلام قام حزب آخر بالحرب ، وكلما نافق شخص منهم بمد يد المصافحة تقدم شخص آخر بيد الغدر والخيانة ، فى إطار خطة واضحة المعالم لديهم حتى يصلوا إلى بناء الهيكل المزعوم مكان المسجد الأقصى ، وقيام إسرائيل الكبرى من النيل إلى الفرات ، وعودة المسيخ اليهودى الدجال ليحكم العالم أجمع . .

وأخيرًا كشف مكتب رئيس الحكومة الإسرائيلية شارون عن أنه تلقى منذ أيام خطة لبناء كنيس يهودى فى المسجد الأقصى من أجل بناء الهيكل الثالث ، وستقدم الخطة للمصادقة عليها من قبل لجنة التخطيط والبناء فى بلدية القدس خلال الأيام القليلة القادمة ، وقد تم إعداد الخطة من قبل جدعون حرليف مهندس إدارة الحى اليهودى فى البلدة القديمة ، وتم اختيار مدير للمشروع ومهندس له ، كل ذلك بموافقة الحاخامية الرئيسية فى إسرائيل . . (الأهرام ٢٣ / ٥ / ٢٠٠١ م)

أيها العرب ، أيها المسلمون :

أليس منكم رجل رشيد ؟! ، إن الإسلام وصل إلينا عزيزًا كريمًا عبر رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، فهل نحافظ على الأمانة ، ونسلم الراية لمن بعدنا عالية خفاقة أم يحل عليكم غضب من ربكم ويستبدل قومًا غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم ؟!

● **أحلام الشياطين:**

ألقى وزير الصحة الإسرائيلى كلمة فى افتتاح متحف «البيت المحروق» فى الحى اليهودى بالبلدة القديمة بالقدس بتاريخ ٢٠٠٢/٩/٢٥م قال فيها :

إن المسلمين ثعالب ارتقوا بالتدريج ، والآن هم أفاع وعقارب . .!

وأضاف :

إن المسلمين يتجولون اليوم بصورة آمنة فى القدس ، ويشكلون خطرًا علينا ، ولكننا سنشهد فى المستقبل أياما أفضل ، وسنعرف من هم السادة ، ومن هم العبيد؟!!

وأقول :

أثبت الواقع والتاريخ أن اليهود فى كل زمان ومكان عنصريون ، يسعون للسيطرة على العالم ، وأنهم آفة البشرية وجراثيم البيئة وشياطين الإنس . .

فالذين لا يرجون لله وقارًا ويقتلون أنبياءهم والمصلحين فيهم لا يمكن بحال من الأحوال أن يعيشوا آمنين . .

لقد شردوا على مدى التاريخ ، ولفظتهم كل المجتمعات ، وذبحوا فى أوربا قديمًا وحديثًا ، ولم يكن لهم مأوى إلا فى المجتمع الإسلامى ولكنهم لا يحترمون عهدًا ولا يوفون بميثاق ولا يتذكرون إحسانًا . . وليعلم الصهاينة فى فلسطين أن دولتهم زائلة وأن حبل الله قد انقطع عنهم ولن يغنى عنهم حبل الناس فى أمريكا وبريطانيا ، ومهما علوا فى مرحلة من مراحل التاريخ فستكون عاقبة أمرهم خسرا وسيظل يلاحقهم العدل الإلهى الذى سجله القرآن المجيد فى قوله تعالى :

﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ ﴾ [الأعراف: ١٦٧].

وكل الشواهد تؤكد صمود الشعب الفلسطينى وتصاعد المقاومة الشريفة لتحرير القدس الشريف واستعادة الأرض السليبة وإن الأمة التى أنجبت خالد بن الوليد وأبا عبيدة بن الجراح وصلاح الدين الأيوبى مازالت أمة ولودا . .

● المواجهة الشاملة:

أعلن بنيامين بن أليعازر وزير الحرب الإسرائيلى أن إسرائيل لو أرادت وضع حد لأعمال العنف فى الضفة الغربية وقطاع غزة لفعلت ذلك فى يومين فقط !!

وزعم أن جيشه يمتنع عن القضاء على الانتفاضة فى يومين لأنه ينتمى إلى شعب لديه قيم تمنعه من قتل المدنيين والنساء والأطفال . . !!

وأقول له :

إذا لم تستح فاصنع ما شئت ، فمتى كان لليهود قيم ، وتاريخهم قائم على سفك الدماء وإهلاك الحرث والنسل ، وعقيدتهم هى عقيدة العنصرية الحاقدة . . ؟!

وهذا الوزير اليهودى كاذب ولن يستطيع إجهاض الانتفاضة المباركة مهما كان جيشه وأسلحته المدمرة وسياسته الخادعة وأعماله الإجرامية ، وقد مضت شهور عدة على انتفاضة الأقصى الثانية وهى تزلزل الكيان الصهيونى وتقتص من مجرمى الحرب اليهود ، فلو كان إخوان القردة والخنازير يستطيعون إخماد جذوة الانتفاضة ما تورعوا عن شىء ، لكن حجارة الأقصى أمضى من أسلحة الدمار الإسرائيلية ، فهى حجارة من سجيل ترهب أعداء الله . .

وإن المأساة التى يعيشها الفلسطينيون ليست فى أساليب القمع الوحشى الإسرائيلى ولكن فى الإحباط والتخاذل والعجز العربى والإسلامى ، فإن الدول العربية والإسلامية لا تستطيع اليوم توصيل المساعدات الغذائية والطبية إلى الشعب الفلسطينى ، ولا تملك هذه الدول صوتًا جهيرًا يرفض شعار التخاذل : السلام خيار استراتيچى للعرب ، فى الوقت الذى يعقد سفاح إسرائيل « شارون » اجتماع حكومته فى الضفة الغربية يوم ٢ / ٥ / ٢٠٠١ م لأول مرة منذ احتلالها ، ويعلن أمام العالم أجمع أنه ليس هناك محاذير سياسية يمكنها أن تضع قيدًا على حكومته من أجل الأمن الإسرائيلى . . !!

إن مواجهة هذه الهجمة الصهيونية الصليبية لا يردها إلا قانون واحد ، هو قول الله تعالى : ﴿ . . . وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [التوبة : ٣٦] .

فكل أساليب الدفاع مطروحة أمام المجاهد الفلسطينى بلا محاذير سياسية . .

● **السامية:**

تتهم الدوائر الصهيونية كل من يخالفهم ويكشف فضائحهم بأنه معاد للسامية ، وتحركت بعض الدول الصليبية لتسن قوانين تطارد بها الشرفاء من أصحاب الأقلام . .

والسامية نسبة إلى سام بن نوح عليه السلام ، وعلماء التاريخ القديم يقسمون السلالات البشرية تبعا لأبناء نوح بعد الطوفان ، ويقال إن أبناء نوح ثلاثة ، هم سام ويافث وحام .

ومن نسل سام جاء اليهود الذين يزعمون أنهم شعب الله المختار ، وأن جنسهم نقى لم تدخله شائبة من الأجناس الأخرى . .

ورغم أن العرب ساميون أيضًا فإن نظرية الشعب المختار رفضها القرآن الكريم فى قوله تعالى : ﴿قَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ [المائدة : ١٨] والله تعالى لا يجمعه بأحد من الناس نسب ، وإنما صلة الإنسان بربه تتحدد من خلال صحة العقيدة واستقامة العمل قال تعالى : ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلا يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلا نَصِيرًا (١٢٣) وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا (١٢٤)﴾ [النساء : ١٢٣/١٢٤]

وقضية الجنس النقى من أكاذيب اليهود ، فالهجرات البشرية قديمًا وحديثًا مزجت بين الأجناس جميعًا ، ولعل أقرب مثال لذلك الهجرات الأوربية والأفريقية والآسيوية التى اقتحمت الأمريكاتين بعد اكتشافهما ، وكونوا الآن الجنس الأمريكى الذى لم يكن له وجود من قبل ، ومازال النزوح إلى أستراليا من كل فج عميق ليكون جيلاً جديدا قد يسمى الجنس الأسترالى .

وهكذا فإن الدوائر الصهيونية عندما ترفع شعار السامية تكذب على الله وتكذب على التاريخ ، وليس سكان إسرائيل اليوم من الجنس السامى وإنما هم شذاذ آفاق ، فما علاقة اليهودى الروسى باليهودى الإيطالى وباليهودى الحبشى؟!

إنهم ينحتون علاقات وهمية ويؤسسون دولة على أساطير ، ويخدعون العالم بتزوير التاريخ والفكر والعلم . .

● **الخطـر الصهيونـى:**

تناقلت الصحف خبرًا يقول إن إسرائيل تعكف حاليًا على إنتاج قنبلة جرثومية تفتك بالعرب ولا تؤذى اليهود، من خلال التوصل إلى الچينات العربية والتعامل معها..

وكثرت التعليقات على هذا الخبر، وعده البعض من قبيل الوهم أو الخرافة العلمية..

لكن الأمر - فى نظرى - أعمق من ذلك، وإن محاولة التهوين من وقع الخبر ليس فى صالح الأمة العربية والإسلامية.. فالعلم لا يعرف الكلمة الأخيرة، وما كنا نعده بالأمس خرافة وحلمًا، أصبح اليوم حقيقة وواقعًا..

بل لقد تجاوز العلم ما لا يخطر على البال، وما لم يكن فى الحسبان، وتمكن الباحثون بمواهبهم التى منحها الله تعالى لهم - من اختراق حجب وإزالة عقبات كانت فى حكم المستحيل..

وذلك كله تصديق لقول الله تعالى: ﴿ **حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ** (٢٤) ﴾ [يونس: ٢٤].

ومن عجيب الأمر وغريبه أن اليهود هم الذين يتحكمون فى معامل البحث العلمى العالمى، ويسيطرون على الاقتصاد والإعلام الدولى، فلا نستبعد أن يصلوا يومًا إلى هدفهم الدنىء.. ولهم من وسائل الكيد والمكر والخداع والإجرام ما يخفى على إبليس نفسه..

وإن الخطر الصهيونى لن يقف عند حدود فلسطين، ولن يرضى بالنيل إلى الفرات، ولكنه خطر ماحق لكل أثر إنسانى، ومدمر لكل قيمة عرفها البشر، ويسعى للسيطرة الكاملة على العالم أجمع..

والمسألة الجديرة بالاهتمام هى ماذا أعددنا لمواجهة هذا الطوفان القادم ؟!

سؤال نترك إجابته لأولى الأمر فينا مع اليقين الكامل بأن العاقبة للتقوى وأن البقاء لقوى الخير..

● **شياطين الإنس:**

أعدى أعداء البشرية هم اليهود ، يسعون فى خراب الدنيا ، ولا يحلو لهم العيش إلا على أنقاض الشعوب ، وشعارهم ما حكاه القرآن المجيد فى قوله : ﴿ **لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ** ﴾ ، والأميون هم غير اليهود ، فاليهود يسمحون لأنفسهم باغتصاب كل شيء وانتهاك كل عرض وسفك دماء كل واحد من غير اليهود . .

وهم أحرص الناس على المادة ، ويحصلونها بكافة الوسائل القذرة والمتوحشة ، كما قال تعالى : ﴿ **وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَاةٍ** ﴾ . . [البقرة : ٩٦]

ولم يسلم من لسان اليهود إله ولا ملك ولا رسول . .

فقد قالوا عن الله تعالى : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ** ﴾ . . [آل عمران : ١٨١]

وقالوا : ﴿ **يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ** ﴾ . . [المائدة : ٦٤] .

وقالوا عن جبريل إنه عدو اليهود ، وفيهم نزل قوله تعالى : ﴿ **مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ** ﴾ [البقرة : ٩٨] ، وقالوا على مريم بهتانًا عظيمًا . . وتطاولوا على أنبيائهم والمصلحين فيهم فآذوا موسى ، وقتلوا يحيى ، وكفّروا سليمان ، وكانوا كما حكى القرآن : ﴿ **كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لا تَهْوَىٰ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ** ﴾ . . [المائدة : ٧٠] .

وتاريخهم مع الإسلام ونبى الإسلام والمسلمين ملىء بالعجائب والفواجع ، فقد حدثوا المشركين بأن وثنيتهم وعبادتهم للأصنام خير من التوحيد وعبادة الله وقالوا : ﴿ **هَؤُلاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلاً** ﴾ . . [النساء : ٥١] .

وحاولوا قتل الرسول ﷺ مرارًا وآخر هذه المحاولات الطعام المسموم الذى قدمته امرأة يهودية فى غزوة خيبر فأصاب منه الرسول لقمة ثم رفع يده ، وظلت آثار هذا

الطعام المسموم تعاود الرسول ﷺ حتى وفاته ، ولهذا قيل إن الرسول مات شهيدًا من أثر أكلة خيبر . . !!

واليوم لن يقف الخطر الصهيونى على حدود فلسطين ولن يرضى بالنيل إلى الفرات ولكنه يسعى لإقامة مملكة إسرائيل التى تحكم العالم أجمع وتخضع البشر جميعًا لسطوتها ، ولقد دخلت بروتوكولات حكماء صهيون حيز التنفيذ منذ أمد بعيد ، وقد سيطر اليهود على الاقتصاد العالمى ، وملكوا وسائل الإعلام ، واخترقوا النصرانية وتسلطوا على البحث العلمى والتفكير الغربى كله . .

والمأساة والملهاة معًا هى أن المسلمين ما زالوا غافلين . . !!

﴿ أَزِفَتِ الآزِفَةُ (٥٧) لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴾ [النجم : ٥٧ ، ٥٨]

● **حق الجهاد :**

نشرت الصحف بتاريخ ٤ من يناير سنة ٢٠٠١ م أن باراك رئيس وزراء إسرائيل المستقيل يجدد تهديداته بحرب شاملة ضد الدول العربية ، ويدعو الكونجرس الأمريكى لمنحه معونة إضافية قدرها ٣٥٠ مليون دولار للمساعدة فى تمويل الاستعدادات للحرب . . !!

هكذا يسعى اليهود والصليبيون ، ويخططون لمستقبل حياتهم ، ويستخدمون كل أساليب القهر والعدوان ، ويجاهرون بالعداء الكامل ، ويعلنون بلا مواربة أحقادهم على الإسلام والمسلمين . .

وقد سمعت صحفيًا إسرائيليًا يقول : إن الهيكل - الذى يسميه المسلمون المسجد الأقصى - هو حق لليهود لا يمكن التفريط فيه . . !!

وقد أعلن باراك أنه لن يوقع على معاهدة تسمح بسيادة فلسطينية على المسجد الأقصى . . !!

كل ذلك يحدث على الساحة الدولية وما زال أشباه العلماء وأشباه الرجال عندنا يرتجفون من كلمة الحرب ، ويخشون أن ينطقوا بكلمة الجهاد ، ويتوارون خجلاً من تشجيع الانتفاضة وتسليحها ، ويدينون الأعمال الفدائية داخل إسرائيل ، ويقفون شاخصى الأبصار غائرى الأعين مطأطئى الرءوس أمام عبارات حمقاء تتحدث عن السلام والتعايش السلمى والحوار بين الأديان . . إلخ .

إن اليهود والصليبيين لا يعترفون بقوانين ولا أعراف دولية ، ومن الخطأ محاولة إقناعهم بالحق والعدل فهم لا يفهمون إلا لغة القوة ، ولا يقرع القنا غير القنا . .

وليس أمام المسلمين إلا أن يفهموا سنة الله فى المدافعة ، وأن يكونوا أهلاً لتحمل أمانة الدفاع عن الحق ، ويستجيبوا لدعوة الله جل شأنه فى قوله سبحانه :

﴿ أَلا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (١٣) قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ (١٤) وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (١٥) ﴾ [التوبة : ١٣ – ١٥] .

● **من وراء جدر:**

بدأت إسرائيل منذ شهر يونيه سنة ٢٠٠٢ م بناء الجدار الفاصل بين المناطق الفلسطينية والأرض المحتلة بهدف منع العمليات الاستشهادية داخل إسرائيل . .

وأشار المسئولون الإسرائيليون إلى أن طول الجدار سيصل إلى نحو مائة وعشرة كيلومترات . .

وأقول :

إن هذا الجدار يأتى موافقًا للآية الكريمة فى حق اليهود :

﴿ لا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلاَّ فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْقِلُونَ (١٤) ﴾ [الحشر : ١٤] .

لقد أقام اليهود القرى المحصنة التى سموها المستوطنات ، وها هم أولاء يبنون الجدار الواقى ، ولن يغنى عنهم من بأس الله شيئًا . .

فالقرى المحصنة اقتحمها شهداء الانتفاضة وزلزلوا أمنها ، وكذلك الجدار الواقى لن يعوق أبطال الانتفاضة من عبوره وتقتيل مَنْ خلفه . .

وقد كان لليهود آية فى جدار سابق لم يمنع هزيمتهم وفرارهم فرار القطيع من الذئب ، وهو خط بارليف الذى أقاموه على ساحل القناة الشرقى وزعموا أنه

لا يقتحم إلا بقنبلة ذرية ، واستطاع المجاهد المصرى بإيمانه وشجاعته وخبرته أن يزيل هذا الحائط بخراطيم المياه ، وعبرت القوات المسلحة المصرية ودخل المجاهدون المصريون على اليهود جحورهم وحصدوهم حصدًا فى العاشر من رمضان سنة ١٣٩٣ هـ ، فمهما عمل اليهود فإن الله لن يصلح عملهم ، ولن يرُهبوا الجهاد الإسلامى ولن يقضوا على الحماس الدينى وسيواصل المؤمنون الصادقون المقاومة والتضحية والفداء حتى يطهروا الأرض المباركة ويعود القدس الشريف إلى حضن الأمة الإسلامية . .

● الآمال المعلقة :

أعلن السفاح « شارون » أنه حقق أهدافه فى واشنطن خلال محادثاته مع نظيره الأمريكى بوش ، وقال عقب زيارته فى شهر يونيه سنة ٢٠٠٢ م : لقد حصلنا على كل ما كنا نريده . . !!

وأعلنت الصحف الأمريكية أن نتائج لقاء بوش وشارون خيبت آمال الزعماء العرب . . !!

وأقول : إن الآمال التى تعلق على لقاء بوش وشارون هى السراب بعينه ، ولن يقدم اللقاء الصهيونى الصليبى إلا المزيد من العمل المشترك لإجهاض المقاومة الفلسطينية وإحكام السيطرة على مصادر الطاقة فى العالم الإسلامى . .

وما لم تتحقق الذاتية الإسلامية عملاً وفكرًا لن يتراجع المد الاستعمارى ، ولن نستطيع حماية الأعراض أو المقدسات أو الدماء . .

ومن الغريب والعجيب أن نطالب العالم بموقف حازم أمام الممارسات الإسرائيلية ونحن - كعرب ومسلمين - عاجزون عن اتخاذ هذا الموقف . .

ولن يستجيب لصراخنا أحد فى هذا العالم ، فالحق بغير القوة يتيم يستدر بعض الدموع ولكن الدموع لا تغسل المظالم ، وإن الحق فى غيبة أهله المدافعين عنه المطالبين به - ضائع مضيع . . وإذا كان الساكت عن الحق شيطانًا أخرس ، فما بالك بمن يستكين للباطل ويرضى بالذل ويعيش على الهوان ويعطى الدنية من نفسه . . ؟!

فما أكثر الشياطين فى دنيا الناس . .

لكن هذه الكثرة الشيطانية تخنس عند بوادر العودة إلى الله والاعتصام بالعروة الوثقى . .

وصدق الله حيث يقول :

﴿ الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا (٧٦) ﴾ [النساء : ٧٦] .

● **الملهاة السياسية:**

عقب مباحثات مجموعة الثمانى الكبرى فى كندا أواخر شهر يونيه سنة ٢٠٠٢م أعلن الرئيس الأمريكى چورچ بوش تمسكه بتغيير القيادة الفلسطينية حتى لو أعيد انتخابها ، وهدد بوقف المساعدات للفلسطينيين ، واحتمال استخدام الخيار العسكرى ما لم يتم تحقيق هذه المطالب . .

وأقول :

لم يسمع فى تاريخ العلاقات السياسية مهزلة هى المأساة بعينها أو مأساة هى الملهاة نفسها كما نسمع الآن من الرئيس الأمريكى :

* إنه ينادى بالديمقراطية ويرفض نتائجها .
* إنه ينادى بحق الشعوب فى اختيار قادتها ثم يعطى لنفسه حق طرد قيادات وفرض قيادات . .
* إنه ينادى بمحاربة الإرهاب ثم هو يعيش فكره وحياته كلها منغمسًا فى إرهاب الدولة . .

ثم تعالوا نتساءل :

هل الشعب الفلسطينى المستباح فى عرضه ودمه وأرضه يستطيع أن يجرى انتخابات ويختار قيادات وينشئ مؤسسات وهو بلا مأوى ولا مستشفى وبلا غذاء وكساء ، ويقضى ليله ونهاره تحت نيران الطائرات والدبابات والصواريخ ؟!

هل الشعب الفلسطينى فى حاجة إلى قيادة سياسية تفترش المكاتب وتعيش فى القصور ؟!

إن الشعب الفلسطينى يحتاج إلى قيادة عسكرية تتولى تنظيم الدفاع وتجميع الطاقات وتوحيد الصفوف لمقاومة الاحتلال الإسرائيلى الأمريكى معًا . .

يبقى تساؤل أخير :

هل نحن نحسن التفكير والتعامل مع المكر الصليبى الصهيونى ؟

أظن أن الإجابة ما زالت غامضة . .

● **واقدساه :**

أعلنت إسرائيل خلال شهر يوليو سنة ٢٠٠١ م فتح مكاتب فى عواصم العالم للتطوع من أجل حماية أمن إسرائيل . . !!

أى أن إسرائيل التى تساندها القوى الغاشمة الصهيونية والصليبية ، وتملك الرءوس النووية ، ولديها ترسانة أسلحة تفوق ما يملكه العرب جميعًا ، وترعاها الولايات المتحدة وتضمن لها التفوق العسكرى . .

إسرائيل هذه تفتح مكاتب فى عواصم العالم للتطوع لحصد العرب ، واستئصال شأفة الفلسطينيين ، وهدم الأقصى الشريف ، وبناء الهيكل المزعوم . .

فماذا يعنى ذلك بالنسبة للعرب ؟!

لا شىء ، إنهم سكارى مترنحون ، تتبدد قواهم فى دروب الشيطان ، لا تجمعهم رابطة ، ولا يوحد بينهم هدف ، ولا يؤلف بين قلوبهم دين ، وتراهم أشباه رجال . .

فهل يستطيع أى مسئول أن يعلن - ولو بالكلام - فتح باب التطوع لنجدة إخواننا الفلسطينيين ؟!

هل يستطيع صاحب أى منصب شعبى أو رسمى أن يعلن الجهاد سبيلاً لتحرير القدس ؟!

هل تستطيع أى جهة شعبية أو رسمية أن تقدم السلاح لأبطال الانتفاضة المباركة ؟!

إن البعض قد يقولها بلسانه عندما يرى الضوء الأخضر ، وإن البعض قد يتاجر بها على الساحة ، وإن البعض قد يركب الموجة . . لكن هؤلاء منافقون لا تنهض بهم أمة ولا يشرف بهم مجتمع . .

إن مأساة الأمة الإسلامية اليوم هى أنها تتسول حقوقها على موائد اللئام ، وتضع مستقبلها بين يدى أعدائها ، وتنتظر القرارات التى تحدد مصيرها . .

أليست هذه هى الطامة الكبرى ؟!

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لا يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ (١١٨) ﴾ [آل عمران : ١١٨] .

● انتفاضة الأقصى :

قام شباب وأطفال فلسطين المحتلة بانتفاضة الأقصى المبارك فى شهر رجب سنة ١٤٢١هـ ، وهزوا ضمير العالم أجمع ، وأيقظوا الأمة من سباتها العميق ، وتنادى المسلمون بالجهاد والتحرير ، ووقف الخلق ينظرون كيف المخرج ، وتكاثرت الوفود هنا وهناك ، وعقدت اللقاءات والمؤتمرات الصادقة والمنافقة ، وانتفض كل مسئول فى الشرق والغرب . .

أليس هذا دليلاً حيّاً على أن الشعوب لا ترضى بالضيم ، وأن إرادة الجهاد لا تنطفئ جذوتها ، وأن الحق الإسلامى لن يضيع مهما تآمر الأعداء وتباطأ المنافقون وتخاذل الضعفاء . .

إن السلاح الجديد الذى أثبت كفاءة ممتازة ، وقدرة فائقة ليس من اختراع بشر ، وليس تقنية عالية ، وليس سراً غامضًا ، ولا يحتاج إلى ميزانيات . . !!

إنها حجارة أرض فلسطين تهوى على أحفاد القردة والخنازير فتجعلهم كعصف مأكول . . !!

وهذا السلاح يستخرج من أرضنا بكثرة فلدينا الجبال والوهاد والصحراء ممتدة من المحيط إلى المحيط ، ونحتاج فى استخدامه إلى عزيمة الرجال ويقين الأبرار وإخلاص المجاهدين . .

إن الشعوب بسلاحها الضئيل مع عزيمتها الصلبة تهزم الرءوس النووية وتضع أنوف حامليها فى التراب . .

لقد استطاع الزعيم العالمى غاندى أن يحرر الهند من الاستعمار البريطانى بالعصيان المدنى . . وقام الشعب الڤيتنامى بقهر الجيش الأمريكى بحرب

العصابات ، وطرد الشعب الأفغانى الجيش الروسى مخذولاً مدحورًا ، وأطاح الشعب اليوجسلافى بطاغية العصر ميلوسوفيتش بالمظاهرات السلمية . .

وها هو الشعب الفلسطينى يقدم نموذجًا جديدًا للتحرير هو الحجارة الإسلامية . .

﴿ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴾ . .

● انتحار الإسرائيليين:

نشرت بعض الصحف أن القيادة العسكرية الإسرائيلية تسودها حالة من القلق نتيجة الزيادة المخيفة فى حوادث الانتحار بين العسكريين ، وعزت مصادر إسرائيلية حوادث الانتحار إلى التمييز العنصرى بين الجنود ، وتفشى ظاهرة المخدرات . . !!

وأقول : إن الحقيقة الغائبة هنا هى أن الجنود الإسرائيليين شذاذ آفاق ، ليس لديهم عقيدة قتالية صحيحة ، فالذين قدموا من مشارق الأرض ومغاربها إلى فلسطين - خدعوا بوعود توراتية فاسدة ، وضحوا باستقرارهم فى أوطانهم من أجل سراب خادع . .

إن إسرائيل الكبرى أو الصغرى لن يكتب لها الدوام ، ولن تستمر على أرض المسلمين ، ولن تقاوم سنة الله التى تتعقب اليهود أينما كانوا ذلة وهوانًا وصغارًا . .

وإن خمسين عامًا في عمر التاريخ لا تساوى شيئًا ، وقد أفسد من قبل الصليبيون فى بيت المقدس وأرض الشام ، وأقاموا دولاً عاشت أكثر مما عاشت إسرائيل الصغرى ، ثم أتاها أمر الله الذى لا يرد عن القوم المجرمين فإذا هى أثر بعد عين . .

وإن بقاء إسرائيل مرهون بحبل الناس وحماية الصليبية العالمية لها ، وهو حبل مقطوع لا يغنى من قدر الله شيئًا . .

كل ما نحرص عليه ونؤكده هو أن نربى أجيالنا على وضوح الهدف ونبل الغاية وشرف الوسيلة فى إطار قيم الإسلام ومبادئه ، مع التخلى عن انهزامية الثقافة التى تسعى الدوائر الصهيونية لغرسها فى نفوسنا بما يسمى ثقافة السلام ، وهم أبعد الناس عن السلام ، وأقسى الناس قلوبًا وأغلظهم أكبادًا . .

إنهم ينادون بالرفق بالحيوان ، ويبقرون بطون نساء المسلمين ، ويمثلون بجثث الأطفال والشيوخ . . ويهلكون الحرث والنسل . . ﴿ أَلا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾ . .



المشهد الرابع

بين حضارتين

1. الحضارة الغربية
2. أثر الحضارة الإسلامية فى أوروبا
3. المنظور الإسلامى للحفاظ على الحياة

المشهد الرابع

بين حضارتين

① الحضارة الغربية

● **سمات الحضارة الغربية :**

صرح رئيس وزراء إيطاليا « سيلڤيو بيرلسكونى » بأنه يجب على أوربا أن تدافع عن الحضارة الغربية فى وجه الأشرار المجرمين . . !! وهو الذى دعا من قبل إلى ضرورة انتصار الغرب على الإسلام . . !!

وأقول له ولأمثاله الحاقدين الجهلاء :

إن الحضارة الغربية اليوم أبعد ما تكون عن الإنسانية الراشدة ، فهى حضارة عنصرية تقوم على الاستعلاء بالعرق وتحتقر الشعوب الأخرى وتنادى على لسان فلاسفتها وساستها بإرادة القوة بديلاً عن إرادة الحق ، كما هى فلسفة فردريك نيتشة (١٨٤٤ - ١٩٠٠ م) وسياسة هتلر النازى وكما فعل الصرب بالمسلمين فى البوسنة والهرسك وبلاد القوقاز ، وقاموا بعمليات التطهير العرقى والإبادة الجماعية تحت سمع وبصر الدول الصليبية الكبرى . . !!

والحضارة الغربية حضارة استعمارية قامت باحتلال الدول الأفريقية والآسيوية واستنزفت ثروات الشعوب وطمست معالم الحضارة الأفروآسيوية ، وتحاول الآن السيطرة على مصادر الطاقة فى العالم ، وتثير النزاعات العرقية والقبلية بين الدول النامية ليخلو لها الجو وسط حطام هذه الشعوب . . !!

والحضارة الغربية حضارة غير أخلاقية تنكر شرف العرض ، وتبيح الشذوذ الجنسى وتطمس معالم الفطرة السوية فى الإنسان عندما تجعل مفهوم الأسرة يتسع ليشمل لقاء الرجل بالرجل ، ولقاء المرأة بالمرأة ، ولقاء الإنسان بالحيوان ، وعندما تنادى بالإجهاض وبنوك الأجنة والأرحام المؤجرة والاستنساخ البشرى ، وعندما تختزن الأسلحة النووية

والجرثومية والكيماوية التى تدمر كل شىء وتنقل آثار الدمار إلى أجيال لم تولد بعد . . !!

فأى حضارة يتباكى عليها رئيس وزراء إيطاليا ؟!

وإن الجانب العلمى لتلك الحضارة هو تراث الإنسانية المشترك وليس من إبداع الأوربيين وحدهم . .

● زواج الأمراء:

كنا نسائل الأطفال ونضحك : هل حضرت حفل زفاف أبيك وأمك ؟!

وكنا نعد ذلك من رابع المستحيلات حتى طالعتنا الصحف بصورة زفاف ولى عهد النرويج « هوكون ماجنوس » من عشيقته « ميتا - ماريت » خلال شهر أغسطس سنة ٢٠٠١ م ، وتتوسط العروسين طفلة فى الرابعة من عمرها هى ثمرة الخيانة ، ويمر الموكب المهيب إلى الكنيسة لمباركة الزفاف وسط مائة ألف من البشر المهنئين . . !!

هذه الصورة المنكرة نقدمها للنائحات والنائحين فى مجتمعنا حول حقوق المرأة ، وتدريس الثقافة الجنسية ، ودعاوى التنوير ، وفنون الرذيلة . .

إن العالم حولنا لا يعرف شرف العرض ، ولا يحرص على كرامة المرأة ، ولا يعترف بطهارة السلوك ، ولا يرتضى أخلاق الفطرة ، ويهوى إلى مكان سحيق من الشذوذ والانحلال . . ولم يعد الانحراف الجنسى وقفًا على معتوه أو مريض نفسيًا ، ولم تعد شهوة الجنس خطيئة عابرة يعقبها ندم باك ، ولم تقتصر تلك الجرائم على المواخير المعاصرة التى تسمى كباريهات ، أو النوادى الليلية بل أصبحت تمارس فى الهواء الطلق ، وفى رحاب الجامعات والكنائس ، ويحميها القانون والدستور ، ويدافع عنها رؤساء وحكماء . . !!

إن هذا نذير من النذر المهلكة ، فهل نستمسك ببقية دين وخلق وفطرة قبل أن يصل الطوفان الذى لا يبقى ولا يذر ؟!

قال الله تعالى خطابًا عامًا للرجال والنساء :

﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (٣٠) وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ . . (٣١) ﴾ [النور : ٣٠ - ٣١] .

● زواج الوزراء:

نقلت صحيفة الأهرام بتاريخ ١٥ / ١ / ٢٠٠٢ م عن راديو لندن أن وزير المالية البلچيكى « بيتر كريستيان بروس » تزوج صديقه الشاذ ، وذلك بعد علاقة دامت سنوات ، وبذلك يصبح « بروس » أول وزير شاذ فى العالم يتزوج رسمياً . . !!

هذا نذير من نذر العولمة التى تسعى الأمم المتحدة فى مؤتمراتها السكانية لتمريرها وتبريرها بدعوى الحرية الإنسانية وهم أبعد ما يكونون عن معانى الإنسانية الشريفة ، لقد أصبحوا اليوم كالأنعام بل هم أضل ، فلم نجد فى عالم الحيوان من يمارس الشذوذ . .

وتلك هى إحدى سمات الحضارة الغربية القذرة التى يتباهون بها ويحاولون فرض هيمنتها على العالم ، فسحقًا لحضارة تئد الأخلاق وتدمر الفطرة وتسلب الإنسان أسمى خصائصه . .

وقد حكى القرآن المجيد عن قوم لوط عليه السلام أنهم أول من اتخذوا الرجال شهوة من دون النساء ، وأنهم مارسوا الشذوذ علانية ، قال الله تعالى : ﴿ **وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ (٢٨) أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَن قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٢٩)** ﴾ [**العنكبوت** : ٢٨ - ٢٩] .

وقد حقت على قوم لوط كلمة العذاب التى تلاحق أمثالهم فى كل زمان ومكان ، قال تعالى : ﴿ **فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ (٨٢) مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ (٨٣)** ﴾ [**هود** : ٨٢ ، ٨٣] .

وقد أخذ العلماء مما حل بقوم لوط حكمًا شرعيّاً فى الشواذ ، وهو أن يلقى بهم من شاهق ثم يتبعوا بالحجارة حتى الموت سواء كانوا محصنين سبق لهم الزواج أو غير محصنين . .

وإنه لجدير بالمسلمين أن يفاخروا الدنيا كلها بعقيدة الإسلام وشريعته أمام هذه العقول المظلمة والقلوب المريضة والحضارة الزائفة . . !!

● **الجنس الثالث:**

ألزمت المحاكم فى بريطانيا السلطات الصحية هناك بتحمل نفقات تغيير الجنس باعتباره حقّاً شخصيّاً يخفف آلامًا نفسية وبدنية عن الراغبين فى التحول من الرجولة إلى الأنوثة ، أو العكس . .[1]

هذه إحدى سوءات التقدم العلمى الحديث الذى بدأ يتدخل فى هدم البشرية معنويّاً وروحيّاً بعد أن فتك بها ماديّاً وجسديّاً بقنابله العنقودية وأسلحته الكيميائية وقنابله النووية . .

إننا اليوم على أعتاب مرحلة زمنية تعد أقسى مراحل التاريخ الإنسانى فتكًا بالقيم ، وانتهاكًا للأعراض ، واستباحة للمقدسات ، وتدميرًا للطاقة الإنسانية . .

ومسألة تغيير الجنس وتحويل الرجل إلى امرأة ، أو تحويل المرأة إلى رجل ، لها من الشيوع والانتشار فى دول العالم الغربى ما حدا بالمحاكم البريطانية إلى دعوة الحكومات لتحمل نفقات هذه العمليات الجراحية باعتبارها حقًا من حقوق المواطن الاجتماعية . .

إن هناك آلافًا من الشباب والفتيات يقفون فى طوابير طويلة أمام المستشفيات والعيادات الخاصة فى انتظار دورهم لإجراء هذه الجراحات التى تغير خلق الله وتجعلهم جنسًا ثالثًا لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء . .

وأصبح من مألوف العادات أن ترى الأب والأم يتبادلان الأدوار ، فيصبح الأب امرأة وتصبح الأم رجلاً وتتحطم الأسرة ويتيه الأطفال فى الأرض ، ويبيت الناس فى ظلمات متراكمة ليس لها من دون الله كاشفة . .

وما زال المنافقون والمنافقات وكهنة الفكر الغربى فى مجتمعاتنا يخدعون ضعاف العقول ومرضى النفوس بمقولات الحرية وحقوق الإنسان وكرامة المواطن ، وهم الذين سحقوا الإنسان ووأدوا كرامته ، ودنسوا كل شرف يعتز به العقلاء . .

﴿ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لا يَهْتَدُونَ ﴾[النمل : ٢٤]

---

(١) جاء فى نشرة أخبار إذاعة لندن بتاريخ ٢٩ / ٧ / ١٩٩٩ م .

● **أهـل المنـحرة:**

أخبرني صديقى أن هناك فى بعض دول أوربا أماكن خاصة للانتحار ، يأتى إليها الشخص الذى يريد التخلص من حياته ويسجل اسمه ويدخل ليلقى بنفسه إلى مكان سحيق فى هذه المناحر العامة على غرار مذابح الحيوانات التى تقام فى المدن الكبرى . . !!

وحكمة هذه المناحر العامة - فى زعمهم - أن الناس يشكون من تعفن جثث المنتحرين داخل شققهم التى يعيشون فيها بمفردهم غالبًا ، ثم إن الأمن يضيع أوقاتًا وأموالاً فى التحقيق الجنائى لمعرفة سبب الحادث . . ألا ساء ما يزرون . . !!

فى منطق الإيمان الصحيح ليس من حق الإنسان أن يتمنى الموت مهما اشتدت حوله الخطوب فإن الأمل فى الله أكبر ، وفى صحيح الحديث أن رسول الله ﷺ قال : « **لا يتمنين أحدكم الموت لضر أصابه ، فإن كان لابد فاعلاً فليقل : اللهم أحينى ما كانت الحياة خيرًا لى ، وتوفنى إن كانت الوفاة خيرًا لى** » . .

وإذا كان مجرد تمنى الموت خطيئة فى نظر الإسلام ، فما بالك بمن يقدم على الانتحار ؟!

إن الأنفس كلها لله ، وقتل النفس كقتل الغير سواء بسواء ، وفى صحيح الحديث يقول رسول الله ﷺ : « **من تردى من جبل فقتل نفسه فهو فى نار جهنم يتردى فيها خالدًا مخلدًا فيها أبدًا ، ومن تحسى سمًا فقتل نفسه ، فسمه فى يده يتحساه فى نار جهنم خالدًا مخلدًا فيها أبدًا ، ومن قتل نفسه بحديدة فحديدته فى يده يجأ بها فى بطنه فى نار جهنم خالدًا مخلدًا فيها أبدًا** » .

إن أفكار السوء ووساوس الشيطان إنما تأتى الإنسان الفارغ من الإيمان ، أما المؤمن الحق فهو دائمًا مسدد الخاطر ، ملهم الضمير ، يمنحه الله هداية يفرق بها بين الحق والباطل ، والطيب والخبيث ، قال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ** ﴾

[**الأنفال**: ٢٩]

● **تجارة البشر:**

كشف تقرير لإحدى وكالات الأنباء العالمية عن تناقص عدد سكان أوربا ، والحاجة إلى فتح سوق جديدة للاتجار فى البشر من خلال تهجيرهم بطرق غير مشروعة إلى الدول المتقدمة ، وأوضحت الوكالة أن هذه الجريمة أصبحت مصدرًا لأرباح تفوق جرائم تهريب المخدرات والأسلحة . .

كما كشفت صحيفة نيويورك تايمز الأمريكية النقاب عن أن أكثر من خمسين ألفًا من النساء والأطفال يتم تهريبهم سنويًا إلى الولايات المتحدة للعمل فى شبكات الدعارة أو السخرة . . (الأهرام فى ٣ ، ١٧ / ٤ / ٢٠٠٠)

هكذا يفعل دعاة حقوق الإنسان فى عصر العولمة ، لقد بات واضحًا مؤكدًا أن مزاعم حقوق الإنسان إنما تخص الإنسان الأبيض فقط ، وأصبح الشعار المعمول به « ليس علينا فى الأميين سبيل » .

ثم إن هناك مجموعة سوءات أخلاقية ترتكب فى حق الإنسانية يقوم بها العالم الغربى داخل بيئته وبين بنى جلدته ، لقد آثروا متاع الحياة الرخيص وشهوة النفس الآثمة ، وأطلقوا العنان لسعار الرذيلة بين الرجل والرجل ، وبين المرأة والمرأة ، وبين الرجل والمرأة ، وبين البشر والحيوانات ، وامتنعوا عن الإنجاب الشرعى داخل الأسرة الشريفة ، ونادوا بالأمهات العذارى والأرحام المؤجرة وبنوك الأجنة ، وارتضوا التبنى بديلاً عن الأبناء ، ولذا انتشرت عصابات التجارة فى البشر ، وانقلبت الحقائق انقلابًا لم يخطر على بال شيطان من قبل :

فالشذوذ الجنسى يمارس باسم القانون . . !!

والخليلات تتخذ باسم الحرية . . !!

ونوادى العراة تنشأ باسم الترفيه . . !!

والمواخير تشيد باسم السياحة . . !!

والعاهرات تكرم باسم الفن . . !!

ألا ساء ما يحكمون . .

وفى أحدث استطلاع للرأى فى بريطانيا تبين أن ٥٤٪ من النساء يفضلن الحيوان الأليف بديلاً عن الرجال ، وأن ٦١٪ من الرجال يفضلون الاستغناء عن المرأة بأنثى الكلاب والقطط . . (الأهرام فى ٩ / ٥ / ٢٠٠٠)

﴿ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ ﴾ [**محمد** : ٢٣]

● **مؤتمر نيويورك :**

عقدت فى الخامس من يونيه سنة ٢٠٠٠ م دورة استثنائية للجمعية العامة للأمم المتحدة حول قضايا المرأة فى الألفية الثالثة . .

وهذه الدورة فى نيويورك امتداد لمؤتمرى القاهرة سنة ١٩٩٤م وبكين سنة ١٩٩٥م ، ويحاول القائمون على أمر هذه المؤتمرات امتهان المرأة والجنس البشرى بأجمعه عن طريق تمرير مفاهيم خاطئة حول الأسرة وبنائها وتربية النشء والعلاقات الجنسية والإجهاض . .

ولقد كان للإمام الراحل الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر السابق موقف جسور ، صدع فيه بكلمة الحق ، ولم ينتظر - كما يقال - الضوء الأخضر ، ولا حرص على رضا البشر ، ولا صمت صمت الموتى ، ولا تكلم بعد فوات الأوان ، ولا ركب موجة سائرة ، وإنما سبق الجميع ، وكان بيان مجمع البحوث الإسلامية الأساس الأول لكل البيانات التى صدرت عن الجماعات والهيئات الإسلامية فى ربوع العالم . .

وقال بيان المجمع بشأن مؤتمر بكين : « إنه يعد حلقة من حلقات متصلة ترمى إلى ابتداع نمط جديد من الحياة يتعارض مع القيم الدينية ، ويحطم الحواجز الأخلاقية والتقاليد الراسخة ، دون التفات إلى أن هذه القيم والحواجز والتقاليد هى التى حمت شعوبًا ودولاً كثيرة من التردى فى هوة الفساد الجنسى ، والسقوط فى حومة الاضطراب النفسى ومستنقع الانحلال الخلقى . . . » .

وترتب على هذا الموقف الرائد للأزهر الشريف فى عهد شيخه الراحل الإمام جاد الحق على جاد الحق أن ظلت مائة نقطة محل خلاف وجدل عميق حتى اليوم ، ويحاولون الآن فى مؤتمر نيويورك ، ومؤتمرات قادمة - تمريرها وتبريرها . .

وليعلم هؤلاء أنهم هم الذين سحقوا المرأة وأهدروا كرامتها ، فهل نصدق أن الشيطان ينقلب واعظًا ؟!

﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ [فاطر : ٦]

● كلب كلينتون:

نشرت الصحف بتاريخ ٥ / ١ / ٢٠٠٢ م أن كلب الصيد الذى يملكه الرئيس الأمريكى السابق « بيل كلينتون » لقى مصرعه فى حادث سيارة بنيويورك ، وقال بيان من أسرة كلينتون : « نشعر بحزن عميق لمقتل (بادى) الذى كان رفيقًا مخلصًا ، جلب لنا الكثير من المتعة ، سنفتقده بشدة » !!

لقد حظيت الكلاب لدى الرئاسة الأمريكية بما لم يحظ به البشر الذين يذبحون على أيدى القوات الأمريكية فى أفغانستان . . !!

ففى الصحيفة التى نشرت خبر مصرع كلب كلينتون أكدت دراسة أمريكية قام بها أستاذ فى جامعة « نيو هاميشير » أن عمليات القصف الجوى الأمريكى لأفغانستان أدت إلى مصرع ثلاثة آلاف وثمانمائة أفغانى ، وذلك من خلال تقارير وكالات الأنباء ، بخلاف آلاف القتلى الذين فقدوا حياتهم نتيجة الجوع والبرد وعمليات النزوح الجماعى ، بل لقد صرح أحد أعضاء الكونجرس الأمريكى الذين زاروا أفغانستان : إن هناك جيلاً كاملاً من الأطفال قد ماتوا منذ السابع من أكتوبر ٢٠٠١م ، أى خلال ثلاثة شهور . . !!

وما زالت القوات الأمريكية تكثف حملتها الشريرة جوًا وبرًا ، تحصد الشعب الأفغانى دون خجل أو حياء . . وتقوم القوات الأمريكية بقطع أصابع القتلى لإجراء فحوصات حول البصمة عسى أن يجدوا أسامة بن لادن بين القتلى . . !!

فهؤلاء المتباكون على الكلاب قلوبهم أقسى من الحجارة حيال الشعب الأفغانى وكافة شعوب العالم وبخاصة الشعب الفلسطينى الذى يتساقط قتلاه كل يوم أطفالاً ونساء وشيوخًا ولا حياة لمن تنادى من الأمريكيين . . !!

إن هؤلاء السفاحين فى أمريكا وإسرائيل يتعاملون من منطلق الاستكبار فى الأرض ، ويعدون أنفسهم الإنسان الأعلى الذى يجب أن يسود . . !!

﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الأَرْضِ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٨٢) ﴾ [غافر : ٨٢] .

بين حضارتين

٢ أثر الحضارة الإسلامية فى أوربا

● **جسور الاتصال بالشرق الإسلامى [١]:**

نبتت الحضارات الأولى فى الشرق ، وأينعت فى اليونان ، ثم عادت إلى حيث بدأت وقد توفر لها من أسباب البقاء وعوامل القوة ما جعلها أوسع انتشارًا وأعمق تأثيرًا .

ذلك أن الشرق قد نعم بالإسلام دينًا وبالقرآن شرعة ومنهاجًا ، وحقق المسلمون أمجادًا كبارًا فى الفكر والثقافة ، وفى الدولة والحكم .

وعاشت فى كنف الإسلام شعوب وحضارات صاغها فى صورة جديدة قدمت للإنسانية نموذجًا فريدًا لمجتمع مثالى يجمع بين طهر العقيدة ، وسمو النفس ، ونقاء الفكر ، وإخلاص العمل فى تآلف عجيب عمارة للدنيا وزادًا للآخرة .

وقدر للعالم الأوربى أن يراقب عن كثب الحضارة الإسلامية الرائعة فى وقت كان يعيش عصورًا - اتفقت كلمة المؤرخين على تسميتها بالعصور المظلمة .

وتمثلت جسور الاتصال فيما يلى :

١ - الأندلس:

وقد حكمها المسلمون من القرن الثامن حتى القرن الخامس عشر الميلادى وازدهرت فيها حضارة رائعة شملت جوانب الفكر والاقتصاد والعمران واشتهرت بجامعات قرطبة وإشبيلية وغرناطة .

---

(١) راجع كتابنا « المجتمع المثالى فى الفكر الفلسفى وموقف الإسلام منه » ص ٢٤١ ط دار المعارف بالقاهرة .

وعلى المدخل العام لجامعة غرناطة نقشت هذه العبارة :

« يقوم استقرار العالم ونظامه على أربعة أسس : علم الحكماء ، وعدل الملوك ، وصلاة العابدين ، وبأس الشجعان » .

وقد وفد إليها الطلاب من جميع أنحاء أوربا ، وكان لملوك الأندلس ولع باقتناء الكتب واصطفاء العلماء .

وقد صادف لب الحقيقة من قال :

« لقد كانت ساعة نحس تلك الساعة التى حل فيها الصليب محل الهلال على أبراج غرناطة » .

٢- صقلية وجنوب إيطاليا:

فتحها العرب فى القرن التاسع الميلادى على أيدى حكام تونس ، ودام حكمهم إلى القرن الحادى عشر ، حيث استولى عليها النورمنديون إلا أن الأثر الإسلامى والملامح العربية ظلت بعد ذلك بقرون .

٣- الرحلات إلى الشرق:

انتقل الغربيون إلى المشرق الإسلامى فى رحلات متعددة طلبًا للعلم ، أو سعيًا للتجارة ، أو زيارة للأماكن المقدسة فى فلسطين فجاوروا أهله ، وعاملوهم ، واستنشقوا عبير أخلاقهم .

٤- الحروب الصليبية:

تجمعت أوربا وراء صليب جاهل ، وحكم جائر ، تريد مواجهة الفكر الحر والدين الصحيح والحضارة الجادة فى الشرق الإسلامى .

واستمرت حملاتهم المسعورة قرنين من الزمان ، من القرن الحادى عشر حتى القرن الثالث عشر ، واستطاع الشرق فى النهاية أن يكسر الصليب ويرد أهله على أعقابهم خاسرين ، وتطلع الأوربيون عبر هذه الجسور إلى المجتمع الإسلامى فرأوا حركة عقلية زاهرة ، وتقدمًا علميًا كبيرًا ، وفضائل إنسانية راشدة .

● شمس العرب تسطع على الغرب:

اهتم الباحثون شرقًا وغربًا بإظهار ثمار الحضارة الإسلامية على العالم أجمع .

ولعل كتاب « شمس العرب تسطع على الغرب » يفى بالمقصود فى هذا المقام ، وقد ألفته المستشرقة الألمانية « زيغريد هونكه » وقالت فى مقدمته[1] :

---

(١) ترجمة فاروق بيضون ، وكمال دسوقى ، ط منشورات دار الآفاق الجديدة - بيروت .

« أردت أن أكرم العبقرية العربية ، وأن أتيح لمواطنىّ فرصة العود إلى تكريمها ، كما أردت أن أقدم للعرب الشكر على فضلهم الذى حرمهم من سماعه طويلاً تعصب دينى أعمى ، أو جهل أحمق » .

وفى المدخل تحدثت المؤلفة عن إغفال مؤرخى أوربا لدور العرب العظيم فى الحضارة الإنسانية ، بحيث لا نجد إلا عبارة غامضة تقول :

إن العرب قد نقلوا كنوز القدامى إلى بلاد الغرب . .!!

ووصفت هذه العبارة بالكذب ، لأنها تجعل العرب كساعى البريد فقط .

ثم تنادى المؤلفة بأن تأخذ العدالة مجراها ، وترد حقوق شعب سبق أن حرمه التعصب الدينى كل تقدير موضوعى حق ، وحط من قدر أعماله الفائقة ، وحجب النور عما قدمه لحضارة أوربا .

ومن خلال الأسلوب الرائع للكتاب والعرض الشائق للموضوعات يمكن أن نستخلص هذه الحقائق :

١ - لم تتعرف أوربا على صناعة الورق إلا من خلال الحضارة العربية ، ذلك أن الخليفة المنصور بدأ صناعة الورق عن طريق بعض العمال الصينيين ، وعممها ولده هارون الرشيد ، وبنيت أولى مطاحن الورق فى بغداد .

وسار موكب الصناعة إلى دمشق ، ماراً بفلسطين ومصر ، لينطلق إلى تونس ومراكش وإسبانيا .

ومن عرب صقلية والأندلس عرفت أوربا هذه المادة الكثيرة النفع ، التى هى فى الحقيقة إحدى دعائم الفكر والثقافة .

٢ - من المؤكد أن العلماء العرب وضعوا نظرية تركيب البارود المندفع ، فى القرن الثانى عشر .

وعرب الأندلس هم أول من استعمل القذائف النارية فى أوربا لأهداف عسكرية .

وفى أعوام ١٣٢٥ ، ١٣٣١ ، ١٣٤٢م أثارت قذائف العرب النارية فى كل من معركة بازا ، وأليكانت ، والجزيرة - الهلع الكبير والخوف الكاسح ؛ حتى ظن الناس أن العالم قد قارب على النهاية . .

٣ ـ كانت أوربا أكثر بلاد العالم قذارةوتبنت الكنيسة شعاراً يقول : إن القذارة من الإيمان . .!

وتعرية الجسم فى ظلام الحجرة يحمل طابع المعصية . .!!

والعفة تقاس بدرجة القذارة . .!!

ولم يكن الناس فى أوربا يغتسلون إلا مرة أو مرتين فى العام ، ولا يغسلون ملابسهم بعد ارتدائها حتى تصبح خرقًا بالية . .

وعندما اختلط الأوربيون بالعرب عن طريق الحروب الصليبية ، والمسافرين للحج فى فلسطين ، أو القادمين من الأندلس وصقلية - عرف الناس الحمّامات العامة وتعلموا النظافة والاعتناء بالصحة . .

٤ - إن الأرقام العربية وما يمثله الصفر من دور مهم فيها - كانت تحولاً كاملاً فى طرق الحساب والتفكير الأوربى . .

وكتب للخوارزمى الخلود بتأليفه كتابين مهمين فى الرياضيات:

الأول : فى حساب الجبر والمقابلة ، ويضم مجموعة ممتعة من المشاكل الرياضية التى يعنينا أمرها فى الحياة العملية ، وحينما ترجم هذا الكتاب إلى اللاتينية فى العصور الوسطى حمل معه اسمه العربى ، وأصبحت كلمة «الجبر» كلمة عالمية تخلد اسم صاحبها . .

والكتاب الآخر كان كتابًا تعليميًا صغير الحجم فى علم الحساب شرح فيه استخدام نظام الأعداد والأرقام الهندية ، كما شرح طرق الجمع والطرح والقسمة والضرب وحساب الكسور . .

ونقل هذا الكتيب إلى إسبانيا وترجم إلى اللاتينية فى القرن الثانى عشر ، وانتشر اسمه فى ألمانيا وإنجلترا وفرنسا ، وأصبح للصفر دور عجيب ، كما بقى سراً غامضاً يصعب على عامة الناس فهمه ، فهو لا يعنى شيئاً بمفرده ولكنه يملك قوة سحرية فيحول الواحد الصحيح إلى عشرة أو إلى ألف ؛ فالصفر ليس له فى ذاته قيمة ، ومع ذلك يمثل دوراً خطيراً فى تكوين الأعداد . .

٥ ـ فى عصر هارون الرشيد وابنه المأمون صاغ العرب كل أسماء النجوم والكواكب باللغة العربية ، ومازالت معربة إلى اليوم . .

وبنى العرب المراصد الجوية ، وأشهرها مرصدا المأمون فى بغداد ودمشق ،

ومراصد الخليفتين الفاطميين العزيز بالله والحاكم بأمر الله فى القاهرة ، ومرصد عضد الدولة فى حديقة قصره ببغداد ، ومرصد ملكشاه السلجوقى فى نيسابور شرقى إيران . .

ويعتبر مرصد نصير الدين الطوسى فى مراغة معهداً للأبحاث لامثيل له ، وكان مزوداً بآلات فلكية مبتكرة للمراقبة والقياسات .

وامتاز العرب بمهارة فائقة فى ا ختراع ساعات الشمس ، وأعطوها شكلاً دائريًا يتوسطه محور ظاهر ، وتمكنوا بواسطتها من تحديد موضع الشمس فى كل حين ، ومن تحديد الوقت ، وصنع التقاويم الزمنية . .

كما انفتحت آفاق عديدة أمام العرب فصنعوا الساعات التى تسير على الماء وعلى الزئبق وعلى الشمع المشتعل أو التى تعمل بواسطة الأثقال المختلفة .

وفى عام ٨٠٧م بعث هارون الرشيد إلى القيصر شارلمان بساعة من هذه الأنماط كانت محل الإعجاب والدهشة . .

ولقد سيطرت نظريات ابن الهيثم فى علمى الفيزياء والبصريات على العلوم الأوربية حتى يومنا هذا . .

فعلى أساس كتاب « المناظير » لابن الهيثم نشأ كل ما يتعلق بالبصريات ابتداء من الإنجليزى « روجر بيكون » حتى الألمانى « فيتلو » . .

وأما « ليوناردو دافنشى » الإيطالى ، مخترع آلة « التصوير الثقب » أو الآلة المعتمة ، ومخترع المضخة والمخرط ، وأول طائرة - ادعاء - فقد تأثر تأثرًا مباشرًا بالعرب ، وأوحت إليه آثار ابن الهيثم أفكارًا كثيرة . .

٦ - اهتم العرب اهتمامًا لا يضارع بالمستشفيات ، وتوافرت فيها كل شروط الصحة والجمال ، فكان ثمة مستشفى عضد الدولة فى بغداد ، بأقسامه الواسعة .

ومستشفى النورى فى دمشق مع مبانيه المخصصة لكل فروع الطب . .

وجوهرة المستشفيات - المستشفى المنصورى بالقاهرة . .

ووجد فى مدينة قرطبة وحدها خمسون مستشفى فى أواسط القرن العاشر الميلادى . .

ولم تعرف أوربا المستشفيات الخاصة بالمرضى إلا بنهاية القرن الثانى عشر بعد الحملات الصليبية التى تعرفوا خلالها على المستشفيات العربية . .

وفى عام ٩٢٥ م كان لكلية الطب الباريسية مكتبة صغيرة ، لا تحتوى إلا على مؤلف واحد ضم كل المعارف الطبية ، وظل المرجع الأساسى فى أوربا مدة أربعة قرون ، إنه كتاب « الحاوى » لأبى بكر محمد بن زكريا الرازى ، وهو موسوعة فى علم الطب جمعت كل المعلومات التى توصل إليها العقل البشرى منذ أيام أبو قراط . .

ولا ننسى ابن النفيس أول من اكتشف فى تاريخ الطب - الدورة الدموية ، وابن سينا الذى ذاع كتابه « القانون » وترجم إلى اللاتينية والعبرية والإنجليزية ، وظلت مباحثه أساس الدراسة الجامعية فى فرنسا وإيطاليا قرونًا متوالية . .

وفى القرن التاسع الميلادى لمع نجم فى سماء الحضارة العربية وسجل لها أكبر الفتوحات العلمية . . إنه جابر بن حيان الذى ابتكر طرقًا جديدة فى الصهر ، واستحضر بعض الأحماض والمركبات الكيميائية . .

والعرب هم المؤسسون الحقيقيون لمهنة الصيدلة ، وفصلوا حقل محضر الدواء عن حقل واصفه ، وكانوا أول من افتتح الصيدليات العامة ، وذلك فى العام الثمانين من القرن الثامن ، فى ظل حكم الخليفة المنصور . .

وألحقوا بكل « بيمارستان » صيدلية خاصة به ، كما كان الوضع فى جنديسابور .

٧ - أسهم العرب إسهامًا كبيرًا فى علم الجغرافيا . . فقام الإدريسى برحلات عديدة ، ما بين آسيا والساحل الغربى لإنجلترا ، ووصل جنوبًا إلى جنوبى القارة السوداء ، وقدم الإدريسى للملك روجر الثانى عام ١١٤٥م سبعين خريطة تفوق خريطة بطليموس الشهيرة دقة ووضوحًا . .

بيد أن درة عمله كانت خريطة العالم ، التى نحتها على لوح من الفضة ، قطره متران ، ووزنه يعادل وزن رجلين ناميين ، ووضح الإدريسى خرائطه فى كتابه القيم فى وصف الأرض ، المعروف باسم « نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق » .

وساهمت الرحلات العالمية التى قام بها العلماء العرب أمثال ابن بطوطة فى زيادة المعلومات الجغرافية ، وصححت آراء خاطئة ، وأخطاء شائعة ؛ لقد غادر ابن بطوطة بلدته طنجة فى رحلة محفوفة بالمغامرات والتجارب ، عاد منها إلى موطنه بعد أربعة وعشرين عامًا (١٣٢٥ - ١٣٤٩ م) . .

واستطاع الجغرافيون الفلكيون أمثــال التبـانى ، وابـن يونـس ، والبيرونـى وابن سعيد ، وياقوت - أن يتقدموا خطوات عما وصل إليه الأقدمون ، فحددوا بدقة متناهية الموقع الجغرافى للبلدان المهمة بالنسبة إلى خطوط الطول والعرض . .

وفى فرع آخر من الجغرافية الطبيعية والچيولوچية - أعطى ابن سينا والبيرونى أمثلة صحيحة تمامًا ، ولها قيمتها العلمية فى دراستهم لنشأة الجبال وطبقات الصخور . .

ولم يعرف الناس فى أوربا لزمن طويل - الجغرافية المؤسسة على المراقبة والتجربة ، فلم تكن خرائط الأديرة ترسم الأرض طبقًا لفهمهم للإنجيل - إلا على أنها قطعة من الأرض يحيط بها بحر عالمى ، وفى وسطها تقع الجنة . . !!

لقد كان الجغرافى العربى الإدريسى (١١٠٠ - ١١٦٦ م) ، المعلم للغرب وليس بطليموس كما يدعى بعضهم ، وبقيت خريطة الإدريسى ثلاثة قرون تسد الفراغ فى أوربا ، وتخدم محاولاتهم فى هذا المجال . .

كما ظلت أعمال ابن سينا المرجع الأساسى للچيولوچية الأوربية حتى القرن الثامن عشر . .

٨ - فى القرن التاسع والعاشر والحادى عشر والثانى عشر كان ٩٥٪ من سكان أوربا لا يستطيعون القراءة والكتابة . .

وكان شارل الأكبر يجهد نفسه فى شيخوخته لتعلم القراءة والكتابة .

وفى الأديرة ينـدر بين الكهنـة من يستطيع أن يمسـك القلم ، لدرجـة أنه فى عـام ١٢٩١م لم يكـن فى ديـر القـديس جـالينـوس من الكهنة والرهبـان من يستطيع الهجاء .

بينما هذا كله يحدث فى أوربا - أقبل العرب إقبالاً منقطع النظير على اقتناء الكتب وبناء المكتبات . . فقد جمع الخليفة الحكم الثانى - فى نهاية القرن العاشر الميلادى - فى قرطبة مكتبة ضمت نصف مليون من الكتب القيمة ، علق بنفسه على هوامش عدد كبير منها .

وفى القاهرة رتب مئات العمال والفنيين فى مكتبة الخليفة العزيز مليونًا وستمائة ألف مـجلد ، فكانت أجـمل وأكـمل دار للكتب ضـمت ٦٥٠٠ مـخطوطة فى

الرياضيات ، ١٨٠ مخطوطة فى الفلسفة ، وحين اعتلى ابنه العرش من بعده بنى مكتبة ضخمة فيها ثمانى عشرة قاعة للمطالعة إلى جوار المكتبة القديمة .

إن هواية اقتناء الكتب والمخطوطات بلغت عند العرب حداً يفوق التصور ، ففى عام ٨٩١م أحصى مسافر عدد دور الكتب العامة فى بغداد أكثر من مائة .

وجمع نصير الدين الطوسى لمرصده فى مراغة أربعمائة ألف مخطوطة ، وكتب ابن النديم « الفهرست » الذى يحوى أسماء جميع الكتب والترجمات التى ظهرت باللغة العربية حتى وقته ، وقد ذيل اسم كل كتاب بشىء عن مؤلفه .

ويكفى أن نعلم أن العرب قاموا بعملية إنقاذ ضخمة للتراث القديم ، حين حرصوا على اقتنائه وترجمته والاستفادة منه ، ومن المواقف المشهورة أن طلب هارون الرشيد بعد احتلاله لعمورية وأنقرة تسليم المخطوطات الإغريقية القديمة .

وبعدما انتصر المأمون على ميخائيل الثالث قيصر بيزنطة طالب بتسليم أعمال الفلاسفة القدماء ، التى لم تتم ترجمتها بعد إلى العربية ، واعتبر ذلك بديلاً عن تعويضات الحرب . .

أليس هذا فتحًا جديدًا فى عالم الحرب ؟

أليس ذلك دليلاً فذاً على أن الحروب الإسلامية كانت حروب سلام وأمن ومجد ؟!

وأخيرًا نسوق نص عبارة للمؤلفة « زيغريد هونكه » :

إن العرب لم ينقذوا الحضارة الإغريقية من الزوال ، ونظموها ورتبوها ثم أهدوها إلى الغرب فحسب .

إنهم مؤسسو الطرق التجريبية فى الكيمياء والطبيعة والحساب والجبر والجيولوجيا وحساب المثلثات وعلم الاجتماع ، بالإضافة إلى عدد لا يحصى من الاكتشافات والاختراعات الفردية فى مختلف فروع العلم ، والتى سرق أغلبها ونسب لآخرين ، قدم العرب أثمن هدية ، وهى طريقة البحث العلمى الصحيح ، التى مهدت أمام الغرب طريقه لمعرفة أسرار الطبيعة ، وتسلطه عليها اليوم .

ولعل أبرز رجال الغرب الأوائل الذين بهرتهم حضارة العرب ، ولم يخجلوا من الارتباط بهم هو القيصر الصقلى فردريك الثانى أحد القياصرة الأعلام فى التاريخ[١] .

---

(١) شمس العرب تسطع على الغرب ص ٤٠١ .

بين حضارتين

٣ المنظور الإسلامى للحفاظ على الحياة

● **تسخير الكون للإنسان:**

الكون كله مسخر لخدمة الإنسان الذى جعله الله تعالى خليفة فى أرضه ، فقال جل شأنه : ﴿ **وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً ... (٣٠)** ﴾ [**البقرة : ٣٠**] .

ورغم أن هذا الإنسان قد يفسد فى الأرض ويسفك الدماء إلا أن الله تعالى منحه مؤهلات هذه الخلافة فعلم آدم الأسماء كلها ، وركب فى الإنسان وسائل العلم والمعرفة ، قال تعالى : ﴿ **وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٧٨)** ﴾ [**النحل : ٧٨**] .

فالكون بره وبحره وجوه مفتوح أمام الإنسان لينتفع به ويكتشف نواميسه ويحسن العلاقة معه ، قال تعالى : ﴿ **اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الأَنْهَارَ (٣٢) وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ (٣٣) وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ (٣٤)** ﴾ [**إبراهيم : ٣٢ - ٣٤**] .

ويحرص الإسلام هنا على تأكيد ثلاث نقاط جوهرية هى :

١ - أن الكون كله أثر من آثار قدرة الله عز وجل ، أبدعه الله الذى أعطى كل شيء خلقه ثم هدى ، فلم ينشأ الكون مصادفة ، ولا يعقل أن يكون بلا خالق مدبر حكيم ، وليس للإنسان دخل فى نشأته واستمراره وسننه ونواميسه . .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَن تَزُولا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا (٤١) ﴾ [فاطر : ٤١] .

٢ - إن حسن الانتفاع بالكون والحفاظ على نعم الله فيه مرهون بتطبيق شرع الله والالتزام بمنهج الوحى الإلهى ضرورة أن الصانع أعلم بما صنع وأن الصنعة لا بد أن تسير وفق إرادة الصانع . .

فالتمرد على دين الله يؤذن بفساد الكون والكائنات . . قال تعالى : ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ (١١٢) وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ (١١٣) فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلالاً طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ (١١٤) ﴾ [النحل : ١١٢ - ١١٤] .

٣ - إن العقل الإنسانى منحة إلهية لا ينبغى له الغرور ، ولا يليق به الجهل ، ويجب أن يظل فى نور الشرع حتى تتحقق له الرؤية المستنيرة . .

فالوقوف عند حدود التجارب والمكتشفات المادية وقطع صلتها بالخالق الأعظم هو والجهل سواء . . قال تعالى : ﴿ ... وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ (٦) يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ (٧) ﴾ [الروم : ٦ ، ٧] .

والاستعلاء بهذه المكتشفات والغرور بها هو تدمير للحياة الإنسانية ، قال تعالى :

﴿ ... حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا

أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٢٤) ﴾ [يونس : ٢٤] .

* * *

ونسوق هنا نموذجين لحديث القرآن عن نعمة التسخير للكون والكائنات ، يتعلق أولاهما بأصل الوجود وسبب الحياة وهو الماء ، ويعرض الثانى لآية الدواب والأنعام والطيور . .

● نعمة المـــاء:

الماء عنصر ضرورى لكل كائن حى ، وقدرة الله فائقة فى تيسيره لبنى الإنسان ، فالماء يتبخر من البحار والمحيطات ، ويتصاعد فى أجواء الفضاء فتحمله السحب ، ويبسطه الله فى السماء كيف يشاء فيصيب به من يشاء ، ويصرفه عمن يشاء .

وقد أطلق على السحاب فى القرآن الكريم لفظ السماء ، وهى كل ما علاك ، قال جل جلاله : ﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا (٩) ﴾ [ق : ٩] ، كما أطلق عليه لفظ المعصرات وهى السحائب المحملة بالماء تعصر فيخرج منها الماء ، قال سبحانه : ﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا (١٤) ﴾ [النبأ : ١٤] .

وقد اقتضت حكمة الله تعالى أن ماء المطر لا يضيع لوقته ، ولا يذهب سدى ، وإنما قدرة الله سلكته ينابيع فى الأرض ، وهى العيون والمجارى المائية حتى ينتفع به الناس على مدار حياتهم .

كما شاءت إرادة الله أن ينزل الماء بقدر حاجة البشر لا بزيادة فيحصل الطوفان ، وبلا نقص فيحصل القحط العام ، قال تعالى : ﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الأَرْضِ (١٨) ﴾ [المؤمنون : ١٨] .

لكن لنتذكر دائمًا أن القادر على المنح قادر على المنع ، وأن توافر النعمة لا يحول دون سلبها متى توجهت الإرادة الإلهية ، ولهذا قال جل شأنه فى ختام الآية السابقة : ﴿ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ (١٨) ﴾ [المؤمنون : ١٨] .

وفى تعجب عجيب يوجه القرآن المجيد تساؤلاً لبنى البشر هو : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَاءٍ مَّعِينٍ (٣٠) ﴾ [الملك : ٣٠] ، بداهة لا نملك إلا أن نقول : الله رب العالمين .

إن من مظاهر نعمة الله فى الماء أنه يصادف الأرض القاحلة الجرداء فتتحول بقدرة الله المبدعة إلى أنواع شتى من النباتات ، مختلفة الأشكال والأحجام ، والطعوم ، والروائح ، قال جل ذكره : ﴿ وَفِي الأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الأُكُلِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٤) ﴾ [الرعد : ٤] .

لقد نبه القرآن الكريم إلى ضرورة التأمل فى هذه الظاهرة وجعلها دليلاً على قدرة الله على بعث الإنسان من قبره ، وقيامته للحساب والجزاء ، وأطلق القرآن على الأرض قبل نزول المطر أوصافًا معبرة : فهى أرض هامدة ، لا حراك فيها ، فإذا هطل المطر تحركت ، فانشقت الأرض وخرج النبات ، وعلت الخضرة ، وتنوعت البركات ، ونشطت الزراعة والتجارة والصناعة ، وكثر سعى الناس .

قال تعالى : ﴿ وَتَرَى الأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ (٥) ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٦) وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ (٧) ﴾

[الحج : ٥ - ٧] .

وهى أرض ميتة ، لا حياة فيها أو عليها ، فإذا نزل الماء تكاثرت الأحياء النباتية والحيوانية والإنسانية ، فالنبات أنواع شتى ، والكائنات الحية تتحرك فى جوف الأرض وعلى ظهرها ، والإنسان يجد ما به حياته من المآكل والمشارب والمأوى . . فالحياة كلها مرتبطة بالماء .

قال تعالى : ﴿ وَآيَةٌ لَّهُمُ الأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ

﴿٣٣﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأْكُلُوا مِن ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [يس: ٣٣ - ٣٥] .

وهى أرض خاشعة ، ساكنة ، لا شيء يتحرك فوقها ، ولا شيء يهتز فى جنباتها ، وكل ما يحيط بالإنسان ساكن لا تسمع له همسًا . . فإذا جاء المطر وسالت الأودية بدأ كل شيء يخرج عن سكونه ، ويظهر آثار وجوده ، ويتقلب ذات اليمين وذات الشمال ، وتسمع هدير الماء وتغريد الطيور وحفيف الأشجار ، وأصوات جميع الكائنات ، فالكل فى حركة ونشاط وتكاثر .

قال تعالى : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ﴾ [فصلت : ٣٩] .

وهى أرض جرز ، خلت من النبات ، وأصبحت جرداء قاحلة ، فإذا وصلها الماء وتغلغل فى أحشائها أثمرت من كل زوج بهيج ، وتجمع فيها الناس وتقاطر عليها الدواب والأنعام ، وقام العمران البشرى ، وشيدت الحضارة ، وانتفع الجميع بآثار رحمة الله .

قال تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ أَفَلا يُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [السجدة : ٢٧] .

هذا ومن دلائل نعمة الماء على قدرة المولى العظيمة أننا نجد بين جنبات الأرض أنهارًا عذبة وبحارًا ملحة ، وقد يكونان متجاورين متلاقيين ، لا فصل بين الماءين فى مرأى العين ، ومع ذلك لا يتمازجان ، ويبقى لكل منهما خصائصه ومميزاته .

قال تعالى : ﴿ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾ ﴾ [الرحمن : ١٩ ، ٢٠] .

ومن تمام النعمة أن هذه المجارى المائية تحوى ثروات ضخمة ، معدنية وحيوانية ، عبر عنها القرآن المجيد بقوله : ﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ [فاطر : ١٢] .

● **نعمة الدواب والطيور:**

خلق الله تعالى الدواب والطيور لحكم جليلة ومنافع عظيمة ، لو تأملها الإنسان لخر ساجدًا لله ، مقرًا بربوبيته ، خاشعًا لقداسته ، فالدواب والأنعام والطيور[1] مسخرة رغم كبرها أو صغرها ، وقربها أو بعدها ، وقوتها أو ضعفها . .

وجعلها القرآن آيةً وبرهانًا على كمال القدرة الإلهية فقال : ﴿ **اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (٧٩) وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ (٨٠) وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنكِرُونَ (٨١)** ﴾ [**غافر** : ٧٩ – ٨١] .

وجعلها نعمة تستحق الشكر وتستوجب الطاعة لله فقال : ﴿ **وَالَّذِي خَلَقَ الأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ وَالأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ (١٢) لِتَسْتَوُوا عَلَىٰ ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ (١٣) وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ (١٤)** ﴾ [**الزخرف** : ١٢ – ١٤] .

ودعا القرآن إلى التأمل فيها والبحث عن أسرارها فقال : ﴿ **أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلاَّ الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ (١٩)** ﴾ [**الملك** : ١٩] .

وقال : ﴿ **أَفَلا يَنظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (١٧)** ﴾ [**الغاشية** : ١٧] .

ثم سلك القرآن هذه الدواب والأنعام والطيور مع منظومة الكون كله فى تسبيح خاشع للخالق الأعظم ، وسجود مطلق للبارئ المصور ، وانقياد كامل لله رب العالمين .

ولم يشذ عن هذه المنظومة القدسية إلا الإنسان الظلوم الجهول الذى خان الأمانة

---

(١) الدواب كل ما يدب على الأرض ، وقيل : ماعدا الإنسان والطير ، والأنعام هى الإبل والبقر والغنم والمعز .

ونقض العهد . قال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ (١٨) ﴾ [الحج : ١٨] .

وقال جل شأنه : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ (٤١) ﴾ [النور : ٤١] .

وللعلماء وجهان فى فاعل « علم » ، هما :

١ - علم (الله) صلاته وتسبيحه : أى أن الله يعلم صلاة وتسبيح كل شىء .

٢ - علم (هو) والضمير يعود على كل : أى علم كل من فى السموات والأرض والطير كيف يصلى ويسبح لله سبحانه وتعالى .

كما أن للعلماء رأيين فى معنى التسبيح هما :

١ - التسبيح المقالى : أى أن لهذه الكائنات تسبيحًا ودعاء بلغة خاصة بها ، الله يعلمها .

٢ - التسبيح الحالى : أى أن هذه الكائنات دالة على تسبيح الله وتنزيهه ، وهى خاضعة خضوعًا مطلقًا لإرادة الله ومشيئته ولا تملك الخروج عن قبضته وحكمته سبحانه .

وساق القرآن موقفًا إعجازيًا على عهد سليمان بن داود عليهما السلام ، حين وقف الهدهد غير بعيد ، وأخبر سليمان بما غاب عنه وخفى عليه من نبأ سبأ ، وتعجب الهدهد عجبًا شديدًا من أمر عقيدتهم الفاسدة وسياستهم الخاطئة فقال : ﴿ إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ (٢٣) وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لا يَهْتَدُونَ (٢٤) أَلاَّ يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ (٢٥) اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (٢٦) ﴾ [النمل : ٢٣ - ٢٦] .

كما ساق القرآن موقفًا بالغ التحدى ارتبط بأضعف المخلوقات ، وهو الذباب ، وذلك حين دعا الآلهة المزعومة وعبادها الجهلاء أن يخلقوا ذبابًا أو أن يستردوا ما يسلبه الذباب منهم . .

قال جل شأنه : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لاَّ يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ (٧٣) ﴾ [الحج : ٧٣] .

هذا وقد تحدث القرآن كثيرًا عن منافع الدواب والأنعام والطيور فى السلم والحرب ، فى الحضر والسفر ، فى الرخاء والشدة .

لقد أحل الله لحوم الأنعام وشحومها ، فقال : ﴿ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الأَنْعَامِ إِلاَّ مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ (١) ﴾ [المائدة : ١] .

وأخرج لنا ألبانًا عذبة المذاق ، شهية الطعم ، غنية الفائدة فقال : ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ مِن بَيْنِ فَرْثٍ[1] وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِّلشَّارِبِينَ (٦٦) ﴾ [النحل : ٦٦] .

وجعل من رحيق النحل شفاء وغذاء ، فقال : ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ (٦٨) ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٦٩) ﴾ [النحل : ٦٨ - ٦٩] .

(١) الفرث : ما فى كرش الحيوان من فضلات الطعام .

وهيأ الله لنا من الجلود والأصواف الدفء والجمال ، فقال : ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٨٠﴾ ﴾ [النحل : ٨٠] .

وذلل الله الخيل فى ميدان القتال ، والحمير والبغال والإبل لحمل الأثقال ، والكلاب للصيد فى الفيافى والخلاء .

فمن الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى ؟!

ومن الذى أبدع الكائنات ونوعها ؟!

ومن الذى ألهم المخلوقات وسخرها ؟!

ومن الذى أحصى كل شىء عددًا ؟!

إنه الله الواحد القهار .

● احترام الإسلام للحياة الإنسانية :

١ - النفس :

يعد الإسلام الفرد صورة مصغرة للإنسانية جمعاء ، فأى اعتداء عليه يمثل اعتداءً صارخًا عليها كلها ، وأى تكريم لشخص فى موقع ما هو تكريم لما يمثله من معانٍ إنسانية نبيلة . . قال الله تعالى : ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ﴿٣٢﴾ ﴾ [المائدة : ٣٢] .

ويذهب الإسلام إلى مدى بعيد فيرفض مجرد تمنى الموت لأنه حريص على أن يعيش الناس بالأمل ، وفى صحيح الحديث يقول الرسول ﷺ : « **لا يتمنين أحدكم الموت لضر أصابه ، فإن كان لابد فاعلاً فليقل : اللهم أحينى ما كانت الحياة خيرًا لى ، وتوفنى إذا كانت الوفاة خيرًا لى** » .

ومتى كان مجرد تمنى الموت خطيئة فى منطق الإسلام فإن الانتحار جريمة أشد وأنكى . . والإنسان لا يملك نفسه ، والأنفس كلها لله ، وقتل النفس كقتل الغير سواء بسواء .

وفى صحيح الحديث يقول الرسول ﷺ : « **مَن تردى من جبل فقتل نفسه فهو فى نار جهنم يتردى فيها خالدًا مخلدًا فيها أبدًا ، ومن تحسى سُمًا فقتل نفسه فسمه فى يده يتحساه فى نار جهنم خالدًا مخلدًا فيها أبدًا ، ومن قتل نفسه بحديدة فحديدته فى يده يجأ بها بطنه فى نار جهنم خالدًا مخلدًا فيها أبدًا** » .

ويظل الإسلام محافظًا على النفس ، حريصًا عليها ، حفيًا بها حتى وهى ما تزال فى دور التكوين ، فيحرم الإجهاض بغير ضرورة ملجئة يحددها الطبيب الثقة .

يقول الإمام أبو حامد الغزالى : « وأول مراتب الوجود أن تقع النطفة فى الرحم وتختلط بماء المرأة وتستعد لقبول الحياة ، وإفساد ذلك جناية ، فإن صارت علقة ومضغة كانت الجناية أفحش ، وإن نفخ فيه الروح واستوفى الخلقة ازدادت الجناية تفاحشًا »[1] .

فالنفس الإنسانية كريمة على الله تعالى وقد فضلها على سائر المخلوقات وجعل الله سبحانه اختلاف اللغات والألوان آيات على قدرته جل شأنه فقال :

﴿ **وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ (٢٢)** ﴾ [الروم : ٢٢] .

فالإنسانية يجمعها أصل واحد ثم تشعبت لتتعارف من جديد . .

قال الله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (١٣)** ﴾ [الحجرات : ١٣] .

فالإسلام لا يعرف فوارق العرق ولا شذوذ العصبية ، وقد التقى فى صدر الإسلام جنبًا إلى جنب بلال الحبشى وصهيب الرومى وسلمان الفارسى ونيروز الديلمى بأبى بكر وعمر وعثمان وعلى وحمزة السادة القرشيين .

وعمر رضي الله عنه هو القائل : أبو بكر سيدنا وأعتق سيدنا (يعنى بلالاً الحبشى) وأبو ذر الغفارى رضي الله عنه هو الذى وضع خده على الأرض وبكى وطلب إلى العبد أن يطأه عندما عاتبه الرسول ﷺ وقال له : « **أعيرته بأمه ؟ إنك امرؤ فيك جاهلية** » .

---

(١) إحياء علوم الدين (٢ / ٥٣) ط . الحلبى .

ومن الصور الرائعة حقًا أن يتولى أسامة بن زيد بن حارثة قيادة جيش جرار إلى خارج الجزيرة العربية فى فترة قاسية تموج فيها البلاد بحركة تمرد عاتية هى حركة الردة ، وتعانى أزمة سياسية بعد انتقال الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى .

والجنود هم كبار الصحابة من المهاجرين والأنصار وأرباب الحسب والنسب ووجوه القوم وسادتهم . . والقائد هو شاب لم يتجاوز العشرين عامًا ، وكان أبوه زيد ابن حارثة رقيقًا ثم حرره الرسول الكريم . .

وتبلغ الصورة منتهى الروعة عندما نرى الخليفة الأول أبا بكر الصديق يودع هذا الجيش وهو يسير فى ركاب قائده ويقول : وما علىّ أن أغبر قدمىّ ساعة فى سبيل الله .

ولا يعرف الإسلام التفرقة فى الكرامة الإنسانية بين رجل وامرأة ، فالنساء شقائق الرجال وقد أحياها الإسلام بعد أن كانت توأد ، وحملها المسئولية كاملة ومنحها حرية التصرف فى كافة الحقوق المدنية دون حجر عليها . .

قال الله تعالى : ﴿ **فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّنْ بَعْضٍ** (١٩٥) ﴾ [آل عمران : ١٩٥] .

وقال جل شأنه : ﴿ **لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا** (٧) ﴾ [النساء : ٧] .

والجانب النسائى فى القرآن حافل بمواطن العبرة فهناك قصص قرآنى خاص بالنساء مثل قصة امرأة نوح ، وامرأة لوط ، وامرأة فرعون ، وامرأة عمران ، وملكة سبأ ، وأمهات المؤمنين .

ومن أسماء سور القرآن : النساء ، ومريم ، والمجادلة ، والممتحنة .

وكان للمرأة دور بارز ومشرف على مدار تاريخ الدعوة الإسلامية ، فأول المؤمنين خديجة بنت خويلد ، وأول الشهداء فى الإسلام سمية أم عمار بن ياسر ، وفى وقت مبكر خرجت المرأة مهاجرة إلى الحبشة ، وكانت أسماء وعائشة ابنتا أبى بكر من بين سائر المؤمنين على علم بموعد الهجرة ، وحظيت أسماء بوسام ذات النطاقين . .

وظلت المرأة المسلمة حريصة على تسجيل شرف السبق لها إلى الهجرة ، ويحكى البخارى فى صحيحه أن امرأة جعفر بن أبى طالب وهى أسماء بنت عميس وكانت من أهل السفينة الذين هاجروا إلى الحبشة - دخل عليها عمر بن الخطاب وهى عند ابنته حفصة ، ودار هذا الحوار :

قال عمر لأسماء : سبقناكم بالهجرة (أى إلى المدينة) فنحن أحق برسول الله منكم .

فغضبت أسماء وقالت : كلا والله ، كنتم مع رسول الله ﷺ يطعم جائعكم ويعظ جاهلكم ، وكنا فى دار البعداء والبغضاء بالحبشة وذلك فى الله وفى رسول الله ، وأيم الله لا أطعم طعامًا ولا أشرب شرابًا حتى أذكر ما قلت للنبى ﷺ .

فلما جاء النبى ﷺ قصت عليه الحوار الذى دار بينهما ، فقال ﷺ : « **ليس بأحق بى منكم ، وله ولأصحابه هجرة واحدة ولكم أنتم أهل السفينة هجرتان** » .

وظلت أسماء بنت عميس تروى هذا الحديث بكل فخر لكل من هاجر إلى الحبشة حتى قالت : فلقد رأيت أبا موسى الأشعرى وأصحاب السفينة يأتونى أرسالاً يسألونى عن هذا الحديث ، ما من الدنيا شىء هم به أفرح ولا أعظم فى أنفسهم مما قال لهم النبى ﷺ .

٢ - النسب:

يعد الزواج الإسلامى المبنى على الرغبة الصادقة ، والقائم على مراحل الخطبة والعقد والزفاف ، والمبتغى العفاف الشريف والذرية الطيبة - هو قمة الفكر الإنسانى وكمال الهدى الإلهى فى علاقة الرجل بالمرأة .

والأسرة فى الإسلام دين يسعى الإنسان لتحقيقه ، وقد جعل الله تعالى الزواج آية من آياته فقال : ﴿ **وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٢١)** ﴾ [الروم : ٢١] .

وقال رسول الله ﷺ : « يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء » .

وجعل الإسلام للمرأة مهرًا فريضة محكمة تكريمًا لها واحترامًا فقال تعالى : ﴿ **وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً** ﴾ أى عطية خالصة ، لكن هذا التكريم يجب ألا

يتحول إلى نوع من التعجيز أو الصد عن إقامة شعيرة الزواج بأن نغالى فى المهور ونوقف بناء العفاف الشريف على معان مادية مرهقة فأخفهن مهورًا أكثرهن بركة . .

والأسرة فى الإسلام على قمتها الرجل يسأل عنها ويكلف بها وينسب إليه الأبناء ، قال الله تعالى : ﴿ **الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ ... (٣٤)** ﴾ [النساء : ٣٤] .

وحرم الإسلام التبنى بمعنى إلحاق النسب لغير البنوة الحقيقية ، فقال الله تعالى : ﴿ **... وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ (٤) ادْعُوهُمْ لآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ ... (٥)** ﴾ [الأحزاب : ٤ ، ٥] .

وللزوجة فى الإسلام حقوق مكفولة بنص مقدس غاية فى البيان والوضوح ، قال سبحانه : ﴿ **وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ (٢٢٨)** ﴾ [البقرة : ٢٢٨] .

فحق المرأة مقدم على الواجب عليها . .

فالنفقة والكسوة والسكنى حقوق ثابتة للمرأة على الرجل ، سواء كانت غنية أو فقيرة ، قال تعالى : ﴿ **لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا (٧)** ﴾ [الطلاق : ٧] .

ومن حقوق المرأة حسن العشرة ولين الجانب وتحمل الأذى منها فإن حسن الخلق مع الزوجة ليس وقفًا على كف الأذى عنها بل يتعدى إلى تحمل الأذى منها ، وقد قال رسول الله ﷺ : « **استوصوا بالنساء خيرًا** » .

وليس هناك ما يمنع من أن يشارك الرجل زوجته فى أعمال المنزل ، وكان رسول الله ﷺ فى مهنة أهله . .

وبلغ من احترام الإسلام لحقوق الزوجة أن نهى الرجل أن يأتى أهله فى جوف الليل حتى لا يفجأهم على أوضاع منفرة فإن الأدب الإسلامى أن تتهيأ الزوجة لملاقاة زوجها وأن تظهر له زينتها . .

وفى صحيح الحديث قال ﷺ : «**إذا أطال أحدكم الغيبة فلا يطرق أهله ليلاً**» .

وحق الزوج مقدس ورضا الزوج من رضا الله وطاعة المرأة لزوجها واجبة ما لم يأمر بمعصية فإنه لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق . .

وهناك حديث شريف جاء فى الصحيح يوضح لنا لونًا من ألوان هذه الطاعة فيقول ﷺ : « **لا يحل للمرأة أن تصوم وزوجها شاهد إلا بإذنه ، ولا تأذن فى بيته إلا بإذنه ، وما أنفقت من نفقة من غير أمره فإنه يؤدى إليه شطره** » .

فالإسلام حرص على الاستقرار العاطفى للأسرة ، فمن حق الرجل الاستمتاع بزوجته فى أى وقت شاء حتى لا تتعرض النفوس للفساد ، ولهذا رفض الإسلام صوم المرأة نفلاً أو واجبًا على التراخى إلا بإذن زوجها حتى لا يقطع عليها عبادتها إن تاقت نفسه .

ويجب أن يعلم الزوج بمن يدخل بيته بحيث يكون بصيرًا بأهله ، وقد حدد الإسلام معالم العفاف الشريف فلا يحل لامرأة مسلمة أن تمد بصرها إلى الرجال بشهوة ، ولا يحل للمرأة أن تظهر شيئًا من زينتها للأجانب ، فإن الله جعل الاستمتاع خاصًا بين الرجل وزوجته . .

ونهى الإسلام عن الخلوة بالمرأة الأجنبية فقال النبى ﷺ : « **لا يخلون رجل بامرأة إلا مع ذى محرم** » .

والمرأة راعية فى مال زوجها ومسئولة عن رعيتها ، وأخص صفاتها الأمانة فى العِرْض والمال ، فلا يحل للمرأة أن تتصرف فى مال زوجها إلا بإذنه وإن خالفت كان الوزر عليها والأجر له ، والإذن قد يكون عامًا وقد يكون خاصًا ، ففى الأمور التى تطيب بها النفوس عرفًا كإعطاء سائل لقمة فلا ضير ، ولكل منهما الأجر والثواب ، للمرأة بما أنفقت وللرجل بما اكتسب ، أما إن تجاوزت المرأة العادة أو كان قدرًا كبيرًا يؤثر فى ميزانية الأسرة فلابد من إذن خاص .

كل ذلك فى التصرف المالى خارج نطاق الأسرة لكن نفقتها ونفقة أولادها فلها أن تأخذ ما يكفيها بالمعروف ، وقد قالت هند بنت عتبة : يا رسول الله ، إن أبا سفيان رجل شحيح وليس يعطينى ما يكفينى وولدى إلا ما أخذت منه وهو لا يعلم ، فقال لها الرسول الكريم : « **خذى ما يكفيك وولدك بالمعروف** » .

● احترام الإسلام للكائنات الحية:

إن الله هو مانح الحياة لكل الكائنات الحية ما نرى منها وما لا نرى ، ما نعلم منها وما لم نعلم . .

ويأتى فى مقدمة هذه الكائنات الحية الملائكة والجن والإنس ، وتمتد لتشمل النبات والدواب والطيور . . وجاء فى القرآن المجيد ذكر كثير من هذه الكائنات مثل :

الإبل - البعوضة - البغال - البقرة - الثعبان - الحية - الجراد - الحمار - الحوت - الضأن - الخنزير - الخيل - الذباب - الذئب - الضفادع - العجل - العنكبوت - الغراب - الغنم - الفيل - القِرَدَة - القسورة - القُمَّل - الكلب - المعز - الناقة - النحل - النعجة - النمل - الهدهد .

وبعض هذه الأسماء كانت أسماء لسور قرآنية كالبقرة والأنعام والنحل والعنكبوت والنمل والفيل . .

وبعض هذه الكائنات كانت معجزات للأنبياء والمرسلين ، كانقلاب العصا حية لموسى عليه السلام ، وخروج الناقة العشراء من الصخرة الصماء لصالح عليه السلام ، وحديث الهدهد والنملة مع سليمان عليه السلام . .

وجعل الله تعالى للمسلمين دورات تدريبية للأمن العام والسلام الشامل مع الكائنات الحية كلها ، فإذا دخل الإنسان مكة أو أقام بها احترم طيرها ونباتها فلا ينفر صيدها ولا يقطع شجرها ولا يأخذ من كلئها ولا يعتدى على نفس فيها ، ففى فتح مكة عام ثمانية من الهجرة قال رسول الله ﷺ : « **إن الله حرم مكة يوم خلق السموات والأرض ، فهى حرام بحرام الله إلى يوم القيامة ، لا تحل لأحد قبلى ولا تحل لأحد بعدى ولم تحل لى إلا ساعة من الدهر ، لا ينفر صيدها ولا يعضد شوكها ولا يختلى خلاؤها ولا تحل لقطتها إلا لمنشد** » .

فقال العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه : إلا الإذخر يا رسول الله فإنه لابد منه للدفن والبيوت .

فسكت رسول الله ﷺ ثم قال : « **إلا الإذخر فإنه حلال** » .

والإذخر نبت طيب الرائحة يستخدم فى تغسيل الموتى وتكفينهم وفى تعطير البيوت . .

ومن أحكام الإحرام بالحج والعمرة تجنب المحظورات ومنها صيد البر الوحشى فى أى مكان من الحرم أو غيره فلا يحل للمحرم أن يصطاد أو أن يأمر بالصيد لقوله تعالى : ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٩٦) ﴾ [المائدة : ٩٦] .

وإذا اصطاد الحاج أو المعتمر حيوانًا بريًا وحشيًا وجب عليه كفارة هى ذبح مثله من الأنعام إن كان له مثل ، فمن اصطاد نعامة وجب عليه ذبح بدنة ، ومن اصطاد بقرة وحشية وجب عليه ذبح بقرة أهلية وهكذا ، وإن كان الصيد مما لا مثل له كالجراد فإنه يتصدق بقيمته طعامًا على فقراء الحرم . .

وأيًا ما كان فالمحرم بالحج أو العمرة مخير عند قتل الصيد بين ذبح الهدى أو إطعام قيمته للفقراء والمساكين ، أو الصيام أيامًا بعدد الفقراء الذين يمكن أن ينتفعوا بالهدى . .

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ وَمَن قَتَلَهُ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ (٩٥) ﴾ [المائدة : ٩٥] .

ونلاحظ مدى التهديد الإلهى لمرتكب جريمة قتل الصيد أثناء الإحرام حتى لقد عبر القرآن بالانتقام الإلهى من الفاعل . . !!

واهتم الإسلام بكل ما ينمى الحياة النباتية والحيوانية فجاءت نصوص شرعية فى فضل الزرع والغرس وسقى الماء . .

ففى أهمية الزراعة ومنافعها يقول الرسول ﷺ : « **ما من مسلم يغرس غرسًا أو يزرع زرعًا فيأكل منه طير أو إنسان إلا كان له به صدقة** » (متفق عليه) .

وجعل الرسول ﷺ شق الأنهار والمصارف من الصدقات الجارية التى ينتفع بها المسلم فى حياته وبعد مماته ثوابًا مضاعفًا من الله عز وجل ، ففى حديث رواه

أبو داود وابن حبان والحاكم عن سعد بن عبادة قال : قلت يا رسول الله إن أمى ماتت فأى صدقة أفضل ؟ قال : الماء ، فحفر بئرًا وقال : هذه لأم سعد .

وحث الإسلام على إحياء الأرض واستصلاحها حتى تزداد الثروة الاقتصادية للأمة ، ففى صحيح البخارى باب « من أحيا أرضًا مواتًا » وساق فيه حديث رسول الله ﷺ : « **من أعمر أرضًا ليست لأحد فهو أحق بها** » .

وفى موطأ الإمام مالك حديث رسول الله ﷺ : «**من أحيا أرضًا ميتة فهى له**» .

وهناك فى كتب الفقه الإسلامى فصل فى إحياء الموات . . والموات – بالفتح – من الأرض هى التى لم تعمر بالزراعة والسكن شبهت العمارة بالحياة ، وشبه تعطيل العمارة بفقد الحياة . .

والإسلام لا يفرق بين إحياء الأرض بالنبات وإحياء الكائنات الحية بتوفير ما يلزمها بقدر المستطاع ومن غير إيذاء وضرر . .

ومن هنا أوجب الإسلام نفقة الحيوان على مالكه والرفق به فى العمل بل لقد منع الإسلام لعن الحيوان . .

ففى صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ قال : « **عذبت امرأة فى هرة سجنتها حتى ماتت فدخلت فيها النار ، لا هى أطعمتها وسقتها إذ حبستها ، ولا هى تركتها تأكل من خشاش الأرض** » .

فإذا أمسكنا حيوانًا أو طيرًا لابد أن نوفر له أسباب حياته بعيدًا عن الأذى والإيلام . .

وفى صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ قال : « **بينما رجل يمشى بطريق اشتد عليه العطش فوجد بئرًا فنزل فيها فشرب ثم خرج فإذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش ، فقال الرجل : لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثلُ الذى كان بلغ منى فنزل البئر فملأ خفه ماء ثم أمسكه بفيه حتى رقِى فسقى الكلب فشكر الله له فغفر له** » .

قال الصحابة : يا رسول الله وإن لنا فى هذه البهائم لأجرا ، فقال : « فى كل كبد رطبة أجر » .

وفى بعض روايات الحديث أن بغيًا من بغايا بنى إسرائيل هى التى رأت كلبًا يكاد يقتله العطش فنزعت موقها (حذاءها) فاستقت له به فسقته إياه فغفر لها به .

فالسعى فى الحفاظ على الحياة لدى الكائنات الحية له ثواب عظيم عند الله عز وجل .

وهناك نهى شرعى عن لعن الكائنات حية أو غير حية بحيث يظل المسلم عفيفًا طاهر الكلمة لا يحمل حقدًا أو ضغينة لإنسان أو حيوان أو نبات أو جماد . .

ففى صحيح مسلم بسنده عن جابر بن عبدالله رضى الله عنهما قال : سرنا مع رسول الله ﷺ فى غزوة ، ورجل من الأنصار على ناضح له - أى بعير يستقى عليه الماء - فتلدن عليه بعض التلدن فقال له الرجل : سِرْ لعنك الله .

فقال ﷺ : « **انزل عنه فلا تصحبنا بملعون ، لا تدعوا على أنفسكم ولا على أولادكم ولا تدعوا على أموالكم ، لا توافقوا من الله ساعة يسأل فيها عطاء فيستجيب لكم** » .

المأكول وغير المأكول:

خلق الله تعالى أنواعًا شتى من الطيور والأنعام ، منها ما يحل أكله ومنها ما لا يحل ، وقد ربط الله تعالى الحل بالطيبات والحرمة بالخبائث . .

ومن الآيات الجامعة فى ذلك قول الله تعالى : ﴿ **حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلاَّ مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا بِالأَزْلامِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ** (٣) ﴾ [المائدة : ٣] .

يستثنى من الميتة السمك والجراد فإنه يحل أكلهما ما لم يصلا إلى درجة التعفن أو الضرر للإنسان .

ويستثنى من الدم الكبد والطحال فإنه يحل أكلهما . . وفى الحديث الشريف : « **أحلت لنا ميتتان ودمان : السمك والجراد ، والكبد والطحال** » ، وحل أكل

الأنعام والطيور مرتبط بأحد أمرين : الذبح أو الصيد ، ولكل منهما أحكام فى الفقه الإسلامى .

فالذبح هو قطع كل الحلقوم وهو مجرى النفس ، وكل المرىء وهو مجرى الطعام ويستحب مع ذلك قطع الودجين وهما عرقان على جانبى العنق وألا يُذكر اسم غير الله بأن يُذكر الله وحده أو لا يُذكر شىء ، فالتسمية سنة .

ويراعى فى آلة الذبح أن تكون محددة وتسيل الدم سواء كانت مصنوعة من حديد أو رصاص أو أى معدن آخر أو أى شىء محدد يسرع فى إزهاق الروح . .

ويستثنى من ذلك السكين المصنوع من العظام فلا يصح الذبح به لخبر الصحيحين أن النبى ﷺ قال : « **ما أنهر الدم وذكر اسم الله عليه فكلوا ليس السن والظُفر** » .

والرفق فى الذبح مطلب شرعى بحيث يحد السكين جيدًا ، ويريح الذبيحة فلا يأخذها بعنف ، ويروى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه رأى رجلاً يسحب شاة برجلها ليذبحها فقال له : ويلك . . قدها إلى الموت قودًا جميلاً . .

كما ينبغى أن يذبح الحيوان بعيدًا عن فصيلته ، وفى مسند أحمد أن النبى ﷺ أمر بحد الشفار وأن توارى عن البهائم وقال : « **إذا ذبح أحدكم فليجهز** » أى فليسرع الذبح . .

وأباح الإسلام الصيد للحيوان المأكول بالسهم والقوس متى أطلقه المرء باسم الله ووجده ميتًا أما إذا وجده حيًا فلابد أن يذبحه الذبح الشرعى . .

ويجوز الصيد بالكلب المعلم الذى إذا أرسله صاحبه استرسل وإذا زجره انزجر وإذا صاد شيئًا لم يأكل منه ، فما صاده هذا الكلب وجاء به إلى صاحبه فهو حلال حتى ولو كان ميتًا .

أما إذا كان الصيد حيًا أو كان الصيد بالكلب غير المعلم فلابد من ذبح الصيد ذبحًا شرعيًا ولا يجوز أكل ميتة الكلب غير المعلم . . وقد ألحق جمهور العلماء بالكلب جوارح الطيور التى يمكن أن تعلم الصيد وتصطاد لصاحبها كالصقر وغيره .

وهنا قد يطرح تساؤل وهو : هل يمكن الصيد لغير الأكل ؟!

ونقول : إن الانتفاع بالصيد ليس وقفًا على الأكل فقد يباع الصيد وينتفع بثمنه وقد يصلح لأشياء أخرى كالتصنيع للجلود والعظام فإذا تحول الصيد لمجرد اللهو ولم يتحقق منه انتفاع فقد حرمه جمع من العلماء لأنه من الفساد فى الأرض بإتلاف نفس عبثًا[١] .

المقتول وغير المقتول:

الأصل هو مسالمة الإنسان لكافة الكائنات الحية والنباتية ما لم تكن هذه الكائنات ضارة له . .

فهناك نص نبوى على قتل بعض هذه الكائنات فى الحل والحرم وسواء كان المسلم محرمًا بحج وعمرة أو لا . .

ففى صحيح البخارى بسنده عن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « **خمس من الدواب كلهن فاسق يقتلن فى الحرم : الغراب والحدأة والعقرب والفأرة والكلب العقور** » ، ويلحق بهذه الأشياء ما كان على شاكلتها فى الضرر كالذئب والنمر وغيرهما . .

ونحب أن نفصل القول فى مسألة اقتناء الكلاب لتفشيها الآن فى المجتمعات الغربية والإسلامية . .

فقد مرّ حكم الكلاب بمراحل تشريعية ، ففى بداية العهد المدنى أمر رسول الله ﷺ بقتل الكلاب وأرسل فى أقطار المدينة بذلك ، واستجاب الناس فلم يدعوا كلبًا إلا قتلوه حتى إن المرأة تقدم من البادية بكلبها فيقتل . .

وقد ثبت ذلك فى صحيحى البخارى ومسلم ، ولعل الأمر بالقتل قصد به حث الناس على النظافة والطهارة والتحرز من شيوع النجاسات ، ولم تكن المساجد يومئذ لها أبواب وجدر ، وكانت الكلاب تدخل المسجد وتبول فيه . .

فلما استقر الوعى بهذه الحقيقة وتنبه الناس إلى ضرورة الطهارة نهى رسول الله ﷺ عن قتل الكلاب واستثنى الكلب الأسود فقال : « **عليكم بالأسود البهيم ذى النقطتين فإنه شيطان** » .

---

(١) راجع (فتح البارى بشرح صحيح البخارى) للإمام ابن حجر - ج٩ - ص ٦٠٢

والأسود البهيم هو الأسود الحالك ، والنقطتان هما نقطتان بيضاوان فوق عينيه ، وتسمية الكلب الأسود ذى النقطتين شيطانًا من باب التشبيه لأن العرف استقر على أن كل شىء مفزع قبيح فهو شيطان . .

وأخيرًا استقر حكم الشرع على قتل الكلب العقور فقط لإيذائه ، ولا يجوز قتل غيره سواء كان أسود أو أبيض حيث لا ضرر . .

واقتناء الكلاب للزينة فى البيوت ظاهرة غريبة يمقتها الإسلام ، فالكلب نجس وقد شدد الإسلام فى نجاسة الكلب فقال ﷺ : « **طهور إناء أحدكم إذا ولغ فيه الكلب أن يغسله سبع مرات أولاهن بالتراب** » .

ولم يبح الدين اقتناء الكلاب إلا للصيد أو الحراسة فقط ، ففى صحيح البخارى قال النبى ﷺ : « **من اقتنى كلبًا ليس بكلب ماشية أو ضارية نقص كل يوم من عمله قيراطان** » .

ولا يجوز التجارة فى الكلاب للزينة أو التسلية ، وأخبر النبى ﷺ أن ثمن الكلب خبيث .

كيفية القتـــل :

إن الإحسان لكل شىء هو شعار المسلم فى حياته كلها ، ونحن عندما نقتل الحيوان الضار نحسن إليه ، ففى الحديث الشريف - الذى رواه مسلم - : « **إن الله كتب الإحسان على كل شىء ، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة ، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته** » .

ويتحقق الإحسان فى القتل بأمور منها :

١ - عدم التحريق بالنار ، بل قال العلماء لا يشوى سمك وهو حى .

وهناك حديث مشهور : « **لا يعذب بالنار إلا الله** » ، ولقد عاتب الله تعالى نبيًا من الأنبياء لأنه أمر بتحريق واد للنمل . .

ففى صحيح مسلم بسنده عن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **إن نملة قرصت نبيًا من الأنبياء فأمر بقرية النمل فأحرقت ، فأوحى الله إليه أفى أنْ قرصتك نملة أهلكت أمة من الأمم تسبح** » .

٢ – سرعة القتل ، فكلما كانت آلة القتل أزهق للروح كان ذلك أكثر ثوابًا ، وكلما تباطأ القتل وتكاثر الألم ضعف الثواب . .

ففى صحيح مسلم قال رسول الله ﷺ : « **من قتل وَزَغَة**[1] **فى أول ضربة فله كذا وكذا حسنة ومن قتلها فى الضربة الثانية فله كذا وكذا حسنة لدون الأولى ، وإن قتلها فى الضربة الثالثة فله كذا وكذا حسنة لدون الثانية** » .

وفى رواية أخرى : « **من قتل وزغًا فى أول ضربة كتبت له مائة حسنة ، وفى الثانية دون ذلك ، وفى الثالثة دون ذلك** » .

٣ – عدم المثلة بالحيوان ، ففى الصحيحين أن ابن عمر رضى الله عنهما مَرَّ بجماعة من الصبيان نصبوا دجاجة يرمونها – أى جعلوها هدفًا يرمونه بالسهام ، فقال ابن عمر رضى الله عنهما : من فعل هذا ؟! إن رسول الله ﷺ لعن من فعل هذا . وفى صحيح البخارى باب بعنوان «ما يكره من المُثْلة والمصبورة والمجثمة» .

والمثلة – بضم الميم وسكون المثلثة – هى قطع أطراف الحيوان أو بعضها وهو حى .

والمصبورة هى المحبوسة حتى تموت .

والمجثمة هى التى تربط وتجعل غرضًا للرمى .

* * *

تبقى كلمة أخيرة :

قد يتساءل البعض : لماذا خلق الله الكائنات الضارة ؟!

وأقول :

إن مسألة الضرر مسألة نسبية ولا نستطيع الجزم بالضرر المطلق ، فالكون قائم على توازن عجيب ، والعلم لا يعرف الكلمة الأخيرة ، وما قد نعده اليوم ضاراً قد يكون مفيدًا غدًا . .

وقد قرأت أن الباحثين يستخلصون من سم بعض الثعابين دواء لأمراض مستعصية كالسرطان والروماتيزم وغيرهما . . فلنؤمن بحكمة الله التى قد نعلمها وقد لا نعلمها . .

﴿ . . . إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝٦ ﴾ [يوسف : ٦]

---

(١) الوزغ من الحشرات المؤذيات .



المشهد الخامس

قضايا :

١ السلام

٢ الحوار

٣ الخطاب الدينى



● **السلام:**

من أسماء الله الحسنى « السلام » بمعنى القداسة والجلال والكمال والجمال فهو سبحانه منزه عما لا يليق ، وبمعنى سلامة شرعه وحكمة تشريعه وصلاح منهجه فى سعادة الدنيا وكرامة الآخرة ، وقد تجلى الله تعالى على عباده بالسلام فى صور شتى منها :

١ - سبل السلام ، قال تعالى : ﴿ **يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ (١٥) يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (١٦)** ﴾ [**المائدة** : ١٥ - ١٦] .

فالإسلام هو السلام مع الله بالتوحيد الخالص ، ومع الناس بكرم الأخلاق وحسن المعاملة ، ومع الكون بالتأمل فى ملكوت السموات والأرض ، ولهذا كانت الدعوة عامة للدخول فى هذا السلام ، قال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ (٢٠٨)** ﴾ [**البقرة** : ٢٠٨] .

٢ - السلام لأولياء الله ، فإن وعد الله قائم لأوليائه أن ينصرهم ويعز شأنهم ويمكن لهم ليعيشوا بسلام ويهنأوا ببركات الأرض ، وينشروا السلام والرحمة فى الآفاق . .

وعلى سبيل المثال فإن نوحًا عليه السلام مكث فى قومه ألف سنة إلا خمسين عامًا

يدعو إلى الله ويبشر بالرخاء ويعلم كرامة الإنسان ، فلما أصر القوم على الكفر والجحود جاءهم أمر الله فكانوا من المغرقين واستقر نوح ومن آمن معه ليبنى الحياة على السلام والرخاء . . قال تعالى : ﴿ قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلامٍ مِّنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ (٤٨) ﴾ [هود : ٤٨] .

إن التجلى بالسلام على أولياء الله هو تأكيد للحق والعدل فلا سلام مع الباطل ولا سلام مع الظلم .

٣ - ليلة السلام ، فهناك ليلة خصها الله تعالى من بين الليالى بأنها ليلة السلام ؛ إنها ليلة القدر التى نزل فيها ملك ذو قدر هو جبريل الأمين ، بكتاب ذى قدر هو القرآن المجيد ، على نبى ذى قدر هو سيدنا محمد ﷺ ، لأمة ذات قدر ، هى أمة الإسلام ، قال تعالى : ﴿ تَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ (٤) سَلامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ (٥) ﴾ [القدر : ٤ - ٥] .

٤ - دار السلام وهى الجنة التى يفوز بها المؤمنون المخلصون ، فهى العدل المطلق ، والأمن العام والخير العميم والسلام الدائم ، قال تعالى : ﴿ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَىٰ دَارِ السَّلامِ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٢٥) ﴾ [يونس : ٢٥] .

واقتضت حكمة الله تعالى أن تقوم هذه الحياة الدنيا على سنة المدافعة بين الحق والباطل ، والعدل والظلم ، والسلام والحرب ولكن العاقبة الحسنى لأهل الحق والعدل مهما طال الزمن حتى يعم السلام ويسود العدل . .

وقد حرص الإسلام على تعميق قيمة السلام فى حياة المسلم عل النحو التالى :

١ - تحية المسلمين هى السلام للأحياء والأموات وفى الدنيا والآخرة ، وقد بدأت من آدم عليه السلام ، ففى صحيح البخارى أن النبى ﷺ قال : «**خلق الله آدم على صورته ، طوله ستون ذراعًا ، فلما خلقه قال اذهب فسلم على أولئك - نفر من الملائكة جلوس - فاستمع ما يحيونك فإنها تحيتك وتحية ذريتك ، فقال : السلام عليكم ، فقالوا : السلام عليك ورحمة الله ، فزادوا : ورحمة الله . .**» .

٢ - إفشاء السلام وإشاعته أدب إسلامى حتى تعم المحبة ويأمن الناس ويعيشوا عباد الله إخوانًا . .

وفى صحيح الحديث قال رسول الله ﷺ : « **لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتى تحابوا ، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم ، أفشوا السلام بينكم** » .

والسلام يكون حقيقيًا وواقعًا متى ارتكز على قواعد العدل وحافظ على حقوق الإنسان ، وبغير ذلك يصبح استسلامًا وخضوعًا واستكانة ، ولهذا نهى الإسلام عن الدعوة إلى السلام من منطق الضعف والهوان ، فما قيمة الحياة بغير الحق؟ وما قيمة الحياة بغير العدل ؟

وإنما هى بالنسبة للمسلم إحدى الحسنيين ، إما أن يعيش المسلم عزيزًا وإما أن يموت شهيدًا ، قال تعالى : ﴿ **فَلا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ** (٣٥) ﴾ [**محمد** : ٣٥] .

ومن الجدير بالذكر أن الغزوات التى باشرها المسلمون ضد المشركين فى أوائل العهد المدنى كانت ردًا للعدوان وتأمينًا للعقيدة ، ووقعت فى أماكن قريبة من المدينة قدم إليها المشركون من مكة وغيرها لملاحقة المسلمين فكانت غزوة بدر الكبرى وأحد والخندق . .

ولنقرأ قول الله تعالى : ﴿ **أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ** (٣٩) **الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلاَّ أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ** (٤٠) ﴾ [**الحج** : ٣٩ ، ٤٠] .

إن المسلمين لا يُكرِهون أحدًا على الإيمان ولا يقاتلون أحدًا لمجرد المخالفة فى العقيدة ، إنهم يريدون أن يعيشوا بمنهج الله ، لا يضطهدهم أحد ولا يتسلط عليهم ظالم ولا يتربص بهم حاقد . . ولهذا فهم يلبون نداء السلام ويسعون إليه استجابة لقوله تعالى : ﴿ **وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ** (٦١) ﴾ [**الأنفال** : ٦١] .

والجدير بالذكر أن هذا التوجيه القرآنى بتلبية نداء السلام جاء بعد الأمر الإلهى بإعداد العدة الكاملة لمواجهة أعداء الله ، فقال تعالى : ﴿ **وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ** (٦٠) ﴾ [**الأنفال** : ٦٠] .

وأعقب نداء السلام التنبيه على ضرورة اليقظة الكاملة حتى لا يكون نداء السلام حيلة أو خدعة ، فقال تعالى : ﴿ **وَإِن يُرِيدُوا أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ** (٦٢) ﴾ [**الأنفال** : ٦٢] .

وقال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ** (٦٥) ﴾ [**الأنفال** :٦٥] .

ونحن نؤكد على مايلى:

إن أبواق الدعاية الاستعمارية خدعت أمتنا الإسلامية والدول النامية بشعارات السلام وثقافة السلام والتعايش السلمى ، وهم غارقون فى حمأة العنصرية الحاقدة والطغيان الكاسح والظلم الغاشم . .

إن هذه الشعارات لا تعترف بها الدول الكبرى التى تحتكر السلاح النووى والنترونى والجرثومى ، وتحكم قبضتها على الاقتصاد العالمى ، وتثير الصراعات القبلية والسياسية عملاً بالمقولة الآثمة « فرّق تسد » .

إننا نرفض السلام الممنوح من قوى البغى والعدوان ، فهم لا يحترمون العهود ولا المواثيق ﴿ **أَوَ كُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُم** ﴾[**البقرة** : ١٠٠] .

ونرفض ثقافة الخنوع والاستسلام ، فالحياة ليست هينة لينة تؤتى ثمارها بسهولة وتمنح خيراتها بالتمنى .

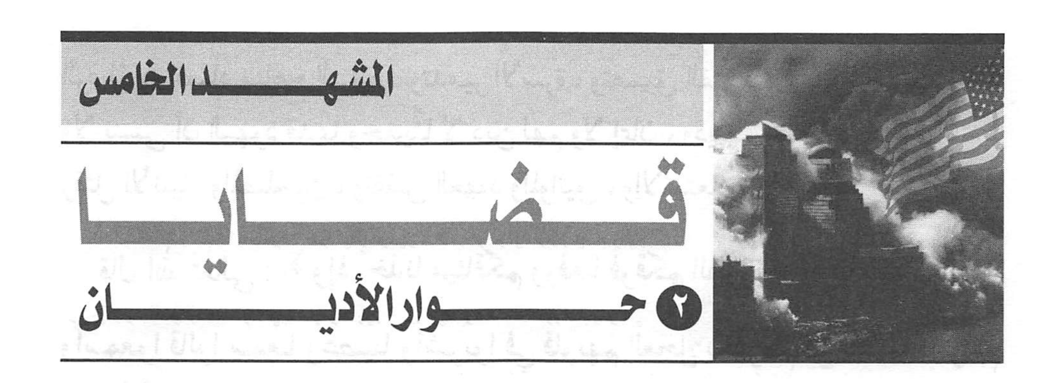
لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى   حتى يراق على جوانبه الدم

إن أمة الإسلام أحرص الناس على السلام الذى يصون الحقوق ، ويحفظ الحريات ، ويحمى المقدسات . .

إننا نؤمن بأن السلام منتهى الآمال ، لأن الله تعالى يقول : ﴿ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَىٰ دَارِ السَّلامِ ﴾ ، ونؤمن بأن السلام فريضة إسلامية ، لأن الله تعالى يقول : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً ﴾ [البقرة : ٢٠٨] .

ونؤمن بأن السلام لا يناله إلا الأقوياء ، لأن الله تعالى يقول : ﴿ فَلا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ ﴾[محمد :٣٤] .

ونؤمن بأن السلام إرادة عامة مشتركة وليس إرادة فرد أو طرف واحد ، لأن الله تعالى يقول : ﴿ وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ .



● **السّر المكشوف:**

تتتابع فى هذه الأيام مؤتمرات الأديان ، ويتوالى تكوين جمعيات الإخاء الدينى ، وباتت من الكثرة بحيث يقف العاقل أمامها متسائلاً : ما سر هذه المؤتمرات ؟ وتلك الجمعيات ؟!

إن كثرتها وتتابعها تزامن مع هجمة شرسة من الصهيونية العالمية فى السيطرة على أرض فلسطين ، وصاحبها شعارات جوفاء تدعو إلى السلام الذى يمكن اليهود ويمنحهم الاستقرار والأمن . .

وانقلبت الحقائق فأصبحت مقاومة المحتل الصهيونى والغاصب اليهودى إرهابًا يسعى العالم لمكافحته ، ويجتمع رؤساء الدول الكبرى لوضع خطة عالمية لاستئصال شأفة المقاومة والجهاد والحماس . .

لقد سيطر أبناء صهيون على وكالات الأنباء العالمية ، وامتلكوا الصحف الكبرى ، وتحكموا فى كل وسائل الإعلام . .

وتحقق لليهود هيمنة اقتصادية عالمية يعرفها القاصى والدانى ، فهل مؤتمرات الأديان وجمعيات الإخاء الدينى حلقة من حلقات الصراع الصهيونى للسيطرة على أديان العالم ، ومسخ معتقداته ، والهيمنة على عقول الناس وقلوبهم ؟!

هذا شك أقرب إلى اليقين . . !!

أو هو يقين لا ريب فيه لأن أبرز أهداف حكماء صهيون هو انتزاع فكرة التدين ، وحصر اهتمام الناس فى المادة وحساباتها ، وإطلاق سعار الشهوة ، وتيسير سبل

الرذيلة ، وإفساد مناهج التربية ، وتدمير الأسرة ، وتعميق الفوضى فى أرجاء المجتمع . . ولا ننسى أن اليهود قديمًا وحديثًا لا دين لهم ولا إيمان ، ودينهم هو الكفر بالله وآياته ، وقتل الأنبياء والمصلحين ، ونقض العهود والمواثيق ، والاستعلاء على البشر . .

قال الله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِ إِيمَانُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٩٣) ﴾ [البقرة : ٩٣] .

● الوحدة الوطنية:

فى تقرير إخبارى نشرته صحيفة الأهرام بتاريخ ١٧ / ١١ / ١٩٩٩م جاء ما يلى :

كشفت مجلة « لوفيجارو » الفرنسية عن رفض قيادات الكنيسة الأرثوذكسية فى مصر الصلاة مع بابا الفاتيكان على جبل سيناء[1] ، ويعد هذا الرفض الذى يندرج فى إطار الخلافات بين المذهبين الكاثوليكى والأرثوذكسى ، بمثابة ضربة قاصمة لجهود بابا الفاتيكان لفتح حوار مع مختلف المذاهب المسيحية .

وتنقل المجلة عن قادة الكنيسة فى اليونان أنهم يعدون المذهب الكاثوليكى تيارًا منشقًا عن المسيحية ، ويرفضون رفضًا مطلقًا إقامة صلاة مع البابا رمز الكاثوليكية بدعوى أن ذلك إثم فاحش . . !!

ألا ليت المنافقين يكفون عن نفاقهم ومتاجرتهم بالوحدة الوطنية ، لقد تنادى هؤلاء المنافقون بضرورة توحيد المناهج الدينية فى مصر للمسلمين والمسيحيين ، ودعوا إلى إقامة مجمع للأديان يلتقى فيه اليهود والنصارى والمسلمون بدعوى الوحدة الوطنية والنسيج الواحد . . !!

ونحن من أكثر الناس حرصًا على الوحدة الوطنية ، ونعدها جزءًا لا يتجزأ من السلوك الدينى الرشيد ، ونقف بشدة ضد المزايدين على الوحدة الوطنية أو العابثين بها . .

لكن يجب أن يكون معلومًا أن لكل دين أصوله وعقائده التى لا يمكن بحال من الأحوال التنازل عنها أو التفريط فيها أو المساومة عليها . .

---

(١) أثناء زيارته لمصر فى ٢٤ / ٢ / ٢٠٠٠ م .

والشعار المرفوع دائمًا قول الله تعالى : ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ . .

والمعاملة الواجبة هى البر والقسط امتثالاً لقول الله تعالى : ﴿لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ .

وأذكر أن حكيمًا نصرانيًا قال لى يومًا ما :

عندما كان المسلمون على ولاء كامل لعقيدتهم وانتماء صادق لدينهم كنا نحن النصارى فى حمى الشريعة ، وعندما وهن الدين فى نفوس المسلمين أصبحنا فى حمى القانون ، ووالله إن حماية الشريعة أحب إلينا من حماية القانون . . !!

المطالبة بالغفران :

تعالت صيحات من الأزهر الشريف وغيره تطالب الفاتيكان بمناقشة تاريخ الحروب الصليبية ، ومدى الأذى الذى لحق الشعوب الإسلامية منها ، وتدعوه إلى الندم وسؤال المغفرة كما فعل مع اليهود . .

وصدرت وثيقة من اللجنة الدائمة للأزهر الشريف للحوار بين الأديان بتاريخ ٢٧ / ٣ / ٢٠٠٠ م تصف بابا روما بقوة الإيمان ، وشجاعة المصارحة ، وعظمة التواضع لما أبداه تجاه آلام شعب إسرائيل التى وقعت على يدى المسيحيين ؛ وتناشد اللجنة لدى البابا روح العدالة والنبل والإيمان حتى يستجيب لهذا المطلب الأزهرى . . !!

وأقول :

أولاً : إن هذه الوثيقة بهذا الأسلوب امتهان لعقيدة المسلمين وإهدار لكرامتهم وضياع لحقوقهم واستجداء لا يليق . . وعقيدتنا محددة فى مثل قوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً (١٥٠) أُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا (١٥١)﴾ [النساء : ١٥٠، ١٥١] .

ثانيًا : نحن - المسلمين - لا نؤمن بالخطيئة الموروثة ، فما حدث فى الحروب الصليبية يتحمل وزره الذين ارتكبوه ، ولا ذنب لأبنائهم وأحفادهم ، والقاعدة الإسلامية قول الله تعالى : ﴿ وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ﴿١٨﴾ ﴾ [فاطر : ١٨] .

وعلاقتنا بأهل الأديان اليوم - كما كانت بالأمس ، وكما تكون بالغد - محددة فى قوله تعالى : ﴿ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ ﴿٧﴾ ﴾ [التوبة : ٧] .

ثالثًا : إن موجة ما يسمى بالاعتذار عن أخطاء الماضى ، التى سادت اليوم هى موجة سياسية ، لا علاقة لها بالحق أو القيم ، وإنما هى مرتبطة بمنافع ومصالح للمعتذر نفسه ، فحيث تكون المصلحة يكون الاعتذار ، على حد المثل القائل : كلمة باطل تجبر الخاطر . . !!

رابعًا : إن اعتذار الفاتيكان لليهود مبنى على سياسة محورية ، مهدت وتمهد للتحالف الصليبى الصهيونى ، وقد كان صدور وثيقة تبرئة اليهود من دم المسيح عام ١٩٦٥ م مقدمة لعدوان عام ١٩٦٧ م «وما تخفى صدورهم أكبر» . !!

باسم الإسلام.. وكفى:

بين الحين والحين تصدر تصريحات وبيانات من مسئولى الهيئات الإسلامية تتكرر فيها هذه العبارة : إن الأديان السماوية كلها تحث على كذا ، أو تؤكد كذا ، أو تأمر بكذا ، أو تنهى عن كذا . . إلخ .

وإنى أتساءل : ما بال المسئولين الإسلاميين يتحدثون باسم الأديان السماوية ؟ وماذا يعنون بها ؟

هل يريدون أن شرائع الله التى أنزلها على المصطفين من خلقه فى كل زمان ومكان تلتقى على أصول الدين ومكارم الأخلاق ؟ أو يريدون أن الأديان القائمة الآن وتدعى نسبتها إلى الله هى التى تلتقى مع أصول الإسلام وقواعده ؟!!

إن كان المراد هو الأول فمصدرنا الوحيد هو القرآن الكريم الذى نستقى منه القصص الحق وعقائد الصدق ، ونتعرف منه على دعوة المرسلين التى حرفها الناس وانحرفوا عنها . .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (٧٦) ﴾ [النمل : ٧٦] . وقال جل شأنه : ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا (٤٨) ﴾ [المائدة : ٤٨] .

وإن كان المراد هو الثانى فليس لهؤلاء المسئولين الإسلاميين حق التكلم باسم الأديان الأخرى ، ولسنا وكلاء عنهم ، ولا ينبغى أن نتطوع لإضفاء شرعية أو قدسية على ما لا نعتقد ولا نؤمن به ، ولندع لرؤساء هذه الأديان الحديث عن أنفسهم إن شاءوا . .

والأجدر بمسئولى الهيئات الإسلامية فى مصر والعالم الإسلامى أن يعتزوا بإسلامهم ويفاخروا الدنيا به سواء التقوا معنا أو نأوا عنا . .

قال تعالى : ﴿ فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوا وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (١٣٧) ﴾ [البقرة : ١٣٧] .

مفهوم الحوار:

الحوار هو مراجعة الكلام وتبادله بين طرفين متخالفين ، ينتصر كل منهما لرأيه ويقدم دليله على معتقده ، رغبة فى أن يظهر الحق لأحدهما ويلتقى الطرفان على رأى واحد يجمعهما . .

وهذا الحوار - فى معناه الصحيح - هو غاية العقلاء ومنتهى مقصدهم ، وهو حوار تحكمه آداب وقيم ، تحترم المحاور ، وتعلى من قيمة العقل ، وتمهد للوصول إلى الحق وتجعل الحوار بناء لا يعرف الكبرياء والرفض الأرعن أو اللعن القبيح أو الكلم السىء . .

هذا المفهوم الصحيح للحوار لا يلتقى مع المفهوم الساذج الذى يطرحه العابثون بالأديان والحضارات عندما يقولون إن الحوار يلتقى على المساحات المشتركة بين الأديان لنصرة المظلوم ورد العدوان . .

إن نصرة المظلوم ورد العدوان هو تعاون على الخير والبر وليس حوارًا ، إنه تحالف

وتجميع لطاقات البشر وتوجيهها نحو الحفاظ على حقوق الإنسان وليس مناقشة عقلية تحتاج إلى إيراد الدلائل ورد الشبهات . . إن هذا العمل منوط بالجمعيات الخيرية ويحتاج إلى مؤازرة من الجهات السياسية حتى يؤتى ثماره الطيبة . .

وقد عرف فى الجاهلية ما يسمى بحلف الفضول ، ويحكى أن رجلاً قدم مكة ببضاعة فاشتراها منه العاص بن وائل فحبس عنه حقه ، وحاول الرجل أن يستخلصه فأعيته الحيل فرقى جبل أبى قبيس عند طلوع الشمس ، وقريش فى أنديتهم حول الكعبة ونادى بأعلى صوته :

يا آل فهر ، لمظلومٍ بضاعته	ببطن مكة ، نائى الدار والنفر
ومُحرم أشعث لم يقض عمرته	يا للرجال ، وبين الحِجْر والحجر[1]
إن الحرام[2] لمن تمت مكارمه	ولا حرام لثوب الفاجر الغدر

فقام إليه الزبير بن عبد المطلب وعبد الله بن جدعان واجتمعوا - بنو هاشم وبنو المطلب وأسد بن عبد العزى وزهرة بن كلاب وتيم بن مرة - فى دار عبد الله ، وتحالفوا فى ذى القعدة قبيلَ البعثة المحمدية بعشرين سنة ، وتعاهدوا بالله ليكونن يدًا واحدة مع المظلوم حتى يؤدى إليه حقه .

ثم مشوا إلى العاص بن وائل فانتزعوا منه سلعة الرجل ودفعوها إليه ، ولقد شهد هذا الحلف سيدنا محمد ﷺ وقال عنه بعد البعثة : « **لقد شهدت فى دار عبد الله ابن جدعان حلفًا ما أحب أن لى به حمر النعم ولو أدعى به فى الإسلام لأجبت**» .

فنصرة المظلوم قيمة إنسانية كبرى . .

والإسلام يؤازر الحق وأهله ويجيب نداء المستغيث ، فالحق عرض الله والعدل شريعته . .

* * *

فالحوار بين الأديان يكون أساسًا وفى المقام الأول مناقشة للعقائد وانتصارًا لما يدين به المرء حتى يظهر له خلاف ذلك .

---

(١) الحجر - بكسر فسكون - جزء من الكعبة لم تستطع قريش إكمال بنائه ، والحجر - بفتح الأول والثانى - هو الحجر الأسود . (٢) الحرام بمعنى الاحترام .

ويلحق بالعقائد كل حوار يتعلق بموضوع يختلف الناس حوله من حيث الخير أو الشر ، ومن حيث الحق أو الباطل ، ومن حيث الفضيلة أو الرذيلة ، ومن حيث الصواب أو الخطأ . .

● أنواع الحوار فى البيان القرآنى :

إذا تصفحنا آيات القرآن الكريم وجدنا ألوانًا من الحوار وأنواعًا من الجدل تعددت أطرافها وموضوعاتها وأوقاتها . .

من أنواع الحوار فى أطرافه :

ما جرى بين الله تعالى وملائكته .

وبين الله تعالى ورسله .

وبين الله تعالى وإبليس .

وبين الأنبياء والملائكة .

وبين الأنبياء وأرحامهم .

وبين الأنبياء وأقوامهم .

وبين البشر بعضهم بعضًا .

ومن أنواع الحوار فى موضوعاته :

ما دار حول وجود الله تعالى ووحدانيته .

وحول البعث واليوم الآخر .

وحول النبوة والاصطفاء .

وحول الوجود وحكمته .

وحول العلاقات الاجتماعية فى سرائها وضرائها .

ومن أنواع الحوار فى أوقاته :

ما وقع على مدار التاريخ الإنسانى وما سيقع فى مواقف القيامة ، فى الحشر أو فى الجنة أو فى النار .

ومن أنواع الحوار في نتائجه:

ما انتهى إلى التسليم والإذعان ، وما انتهى إلى المكابرة والتمرد ، وما انتهى إلى الحسرة والندم . .

النماذج القرآنية:

١ - بين الله وملائكته:

لعل أول محاورة وردت فى المصحف الشريف هى محاورة المولى سبحانه وتعالى مع ملائكته حول خلق آدم . .

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ (٣٠) وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٣١) قَالُوا سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (٣٢) قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنبَأَهُم بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾[1] .

فطرفا المحاورة هنا هما : الله جل جلاله والملائكة .

وموضوع المحاورة هو حكمة خلق آدم .

وأسلوب المحاورة قائم على المواجهة والتجربة العملية ، ويتجلى فيه التعظيم والتقديس من الملائكة للخالق الأعظم سبحانه وتعالى ، وينتهى بالتسليم التام من الملائكة . .

٢ - بين الله ورسله:

نسوق هنا ما جاء فى موقف الاصطفاء لموسى عليه السلام للنبوة والرسالة :

﴿ وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ (٩) إِذْ رَأَىٰ نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي

(١) البقرة (٣٠ - ٣٣) .

آتيكم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى ﴿١٠﴾ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَىٰ ﴿١١﴾ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾ وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ ﴿١٣﴾ إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي ﴿١٤﴾ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لاَّ يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَىٰ ﴿١٦﴾ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الأُولَىٰ ﴿٢١﴾ وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾ لِنُرِيَكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى ﴿٢٣﴾ اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴿٢٦﴾ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴿٢٨﴾ وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَرُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي ﴿٣٢﴾ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَىٰ﴾[١] .

موضوع هذه المحاورة هو الاصطفاء للنبوة . .

وطرفاها هما الله عز وجل وموسى عليه السلام . .

وأسلوبها قائم على التمهيد والتذكير والتنبيه والتمرين والتكليف والتحبيب . .

فهو تمهيد بدنى ونفسى ، يظهر فى خلع النعلين لطهارة المكان ، والتذكير بالألوهية المقدسة المستحقة للعبادة الخالصة ، والتنبيه على العاقبة الكبرى فى المصير الإنسانى العام .

وهو تمرين يتجلى فى معجزة العصا وإخراج اليد بيضاء ، فقد وقعت التجربتان أمام موسى عليه السلام ثم عاد كل شىء إلى سيرته الأولى وطبيعته السابقة .

---

(١) طه (٩ - ٣٦) .

وهو تكليف لموسى بحمل أمانة الدعوة والتبليغ للرسالة إلى فرعون وقومه .

وهو تحبيب وتشويق حيث استجاب الله تعالى دعاء موسى فى شرح الصدر وتيسير الأمر وحل العقدة وإشراك أخيه معه فى الرسالة . .

٣- بين الله تعالى وإبليس:

محاورة الله تعالى لإبليس فى شأن امتناعه عن السجود لآدم تكررت كثيرًا فى القرآن الكريم ، فى سور : البقرة ، والأعراف ، والحجر ، والإسراء ، و (ص) . . قال تعالى :

﴿ فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (٧٣) إِلاَّ إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (٧٤) قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ (٧٥) قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ (٧٦) قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ (٧٧) وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ (٧٨) قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ (٧٩) قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ (٨٠) إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ (٨١) قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٨٢) إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ (٨٣) قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ (٨٤) لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾[1] .

والشىء العجيب هنا أنه رغم البون الشاسع بين طرفى المحاورة فإن ذلك لم يمنع الحوار والاستماع إلى نهاية المطاف . .

وقد ذكر الإمام الشهرستانى أن شبهة إبليس اللعين مصدرها استبداده بالرأى فى مقابلة النص ، واختياره الهوى فى معارضة الأمر ، واستكباره بالمادة التى خلق منها وهى النار على مادة آدم عليه السلام وهى الطين .

وأكد الشهرستانى أن شبهات فرق الزيغ والضلال والكفر ترجع جملتها إلى تلك الشبهة الأولى .

فاللعين لما حكم العقل على من لا يحكم عليه العقل لزمه أن يجرى حكم الخالق فى الخلق ، أو حكم الخلق فى الخالق ، والأول غلو والثانى تقصير ، فثار من

(١) ص (٧٣ - ٨٥) .

الشبهة الأولى مذاهب الحلولية والتناسخية والغلاة من الروافض ، حيث غلوا فى حق شخص من الأشخاص حتى وصفوه بأوصاف الإله .

وثار من الشبهة الثانية مذاهب القدرية والجبرية والمجسمة حيث قصروا فى وصفه تعالى حتى وصفوه بصفات المخلوقين . .[1]

٤ - بين الأنبياء والملائكة :

ومن نماذج ذلك ما جاء فى شأن إبراهيم الخليل وضيفه المكرمين من الملائكة ، كقوله تعالى :

﴿ وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ قَالُوا سَلامًا قَالَ سَلامٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ (٦٩) فَلَمَّا رَأَىٰ أَيْدِيَهُمْ لا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ (٧٠) وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ (٧١) قَالَتْ يَا وَيْلَتَىٰ أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ (٧٢) قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ (٧٣) فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَىٰ يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ (٧٤) إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ (٧٥) يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴾[2] .

والملاحظ أن الحوار هنا تعدد فى أطرافه وموضوعاته ونتائجه ، فأطرافه الملائكة وإبراهيم وزوجه سارة . .

وموضوعاته هى : البشرى بالغلام العليم إسحق من زوجه سارة ، ورفض الضيف للطعام المقدم ، والحديث بشأن قوم لوط والعقاب الواقع عليهم . .

وكانت نتائج الحوار بالنسبة للموضوع الأول القبول والسرور ، وبالنسبة للموضوع الثانى هو التفهم لطبيعة هؤلاء الضيف وأنهم ملائكة منزهون عن المآكل والمشارب .

(١) الملل والنحل - تحقيق عبد العزيز محمد الوكيل ص ١٤ : ١٨ ط دار الفكر - لبنان .

(٢) هود (٦٩ - ٧٦) .

وبالنسبة للموضوع الثالث هو التنبيه على إبراهيم بعدم الخوض فيه ، لأنه قضاء مبرم من الله عز وجل ، وقد طمأنته الملائكة على ما كان يخشاه على لوط وأهل بيته فلن يمسهم سوء ما عدا زوجه الخائنة كما جاء فى قوله تعالى فى سورة أخرى :

﴿ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلاَّ امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴾[1] .

٥ - بين الأنبياء والأولياء :

مثال ذلك الحوار العجيب العميق بين موسى عليه السلام والعبد الصالح ، عندما ذهب موسى وفتاه إلى مجمع البحرين والتقيا بعبد آتاه الله رحمة ، وعلمه علمًا يتخطى حجب الزمان والمكان ، ويستشرف الغايات الكبرى ، ويتطلع إلى العواقب التى تخفى على العقول وتحار فيها الألباب .

وقد سجل القرآن المجيد هذا الحوار بأسلوب شائق معجز فقال :

﴿ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا (٦٦) قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (٦٧) وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا (٦٨) قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا (٦٩) قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا (٧٠) فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا (٧١) قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (٧٢) قَالَ لا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا (٧٣) فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا (٧٤) قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (٧٥) قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا (٧٦) فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا (٧٧) قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا . ﴾[2] .

---

(١) العنكبوت (٣٢) .   (٢) الكهف (٦٦ - ٧٨) .

لقد بدأ اللقاء بحوار حول الصحبة من أجل العلم الرشيد ، واشترط العبد الصالح على موسى أن يصبر صبرًا تامًا ، وأن يتلقى الأمور بالصمت الكامل حتى يستبين الحكمة وتصل إليه بهدوء .

وبدأت سلسلة من الأحداث ، كل لاحق منها أعمق من سابقه وأدعى إلى الحيرة ، ولم يتحملها موسى ، وتعجل السؤال عن حكمتها ، وجاءه التنبيه تلو التنبيه بضرورة الصبر والالتزام بشرط الصحبة ، وعقب الحدث الثالث كان لابد من بيان عاجل وفراق لا مفر منه .

وأعلن العبد الصالح نماذج من حكمة الوجود العليا ، فكان خرق السفينة إنقاذًا من ظلم الملك الطاغية ، حفاظًا على حق أهلها المساكين .

وكان قتل الغلام إنقاذًا لأبويه وحماية لهما من الكفر .

وكان إقامة الجدار إنقاذًا ليتيمين ترك أبوهما كنزًا تحت الجدار .

وفي ذلك ما يدفع الناس إلى صدق اليقين بالله ، وحسن التوكل عليه ، والرضا بما قسم الله .

٦ - بين الأنبياء وأرحامهم:

مثال ذلك الحوار اللطيف البليغ بين إبراهيم الخليل وأبيه حول عبادة الأصنام . . قال تعالى : ﴿ **وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا ﴿٤٢﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا** ﴾[1] .

---

(١) مريم (٤١ - ٤٨) .

لقد بدأ الحوار بتأكيد معانى البنوة والأبوة التى تقتضى الرحمة وصدق الود وخالص المشاعر .

وأوضح إبراهيم أنه صاحب دعوة خير ، وأولى الناس بها أبوه وأهله .

وأقام إبراهيم الحجة على أبيه بأن الأصنام صماء عمياء بكماء ، لا تملك لنفسها ولا لغيرها نفعًا أو ضرًا ، وأن هذا الانحراف العقدى من تزيين الشيطان الذى يسعى لإضلال البشر وإفساد الفطرة ، فى وقت تتوالى النعم من الله بلا انقطاع وتستمر العطايا الإلهية بلا توقف .

لكن الرجل لم يفهم ، وطغت عليه طبائع الكفر واستحكمت فيه عادات البيئة الفاسدة ، فتوعد إبراهيم بالرجم إذا لم ينته عن دعوته .

وقابل إبراهيم وعيد أبيه بالصفح ، ودعاه إلى التمهل عسى أن تأتيه لحظة فتح أو نفحة رحمة أو ومضة نور .

٧- بين الأنبياء وأقوامهم:

من نماذج ذلك موقف نوح عليه السلام فى جداله مع قومه ، وقد ساقه القرآن المجيد فى سور متعددة منها قوله تعالى فى سورة هود :

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ (٢٥) أَن لاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ (٢٦) فَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلاَّ بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلاَّ الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ (٢٧) قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَارِهُونَ (٢٨) وَيَا قَوْمِ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالاً إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُم مُّلاقُوا رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ (٢٩) وَيَا قَوْمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ أَفَلا تَذَكَّرُونَ (٣٠) وَلا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنفُسِهِمْ إِنِّي إِذًا

لَمِنَ الظَّالِمِينَ (٣١) قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٣٢) قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ اللَّهُ إِن شَاءَ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ (٣٣) وَلا يَنفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٣٤) أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ ﴾[1] .

والملاحظ هنا أن نوحًا عليه السلام بدأ بعرض رسالته وبيان دعوته فى اختصار شديد (إنى لكم نذير مبين ، ألا تعبدوا إلا الله إنى أخاف عليكم عذاب يوم أليم) .

فانهال عليه المستكبرون من قومه ، وصبوا عليه تهمًا شتى ، وطعنوا فى شخصيته وشخصيات من آمن معه .

فانبرى لهم نوح عليه السلام مفندًا وموضحًا وشارحًا ومفصلاً . . فاتهمهم بالعمى والجهل لأن معه بينات الهدى ودلائل الحق ، ولأنه صاحب رسالة هى الرحمة يقدمها لهم دون مقابل مادى ، وقد آمن به من آمن احتسابًا لوجه الله ، واعترافًا بالحقيقة ، وإذعانًا للحق ، وليس لديه إغراءات يخدع بها أحدًا .

وبين لهم نوح عليه السلام حقيقة النبوة ، فما هو إلا بشر مصطفى ، وإنسان نبى ، لا يسيطر على خزائن ملك الله ، ولا يعلم غيب المستقبل ، ولا يملك قدرات خارقة ، وإنما هو حيث يضعه الله عز وجل ، وحيث يوجهه ، وحيث يجرى على يديه ما يشاء .

وعند هذه النقطة لم يجد القوم مفراً من إظهار المعاندة الشديدة ، والاستهزاء بالوعيد ، فقطعوا الحوار وأغلقوا باب النقاش . . فعاجلهم نوح عليه السلام بتنبيه قوى ، هو أن الوعيد الذى يستحقونه لا يملك إيقافه أو تأجيله بل هو متروك لإرادة الله وحده ، ولا يستطيع نوح أن يجبرهم على طريق الهداية وإنما يقدم النصيحة المخلصة .

وليقف الجميع أمام عدل الله يحكم لا معقب لحكمه .

﴿ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ ﴾ .

٨ - بين البشر بعضهم بعضاً :

ونسوق مثالاً لذلك :

---

(١) هود (٢٥ - ٣٥) .

قصة صاحب الجنتين فى سورة الكهف .

وقصة أصحاب الجنة فى سورة القلم .

وكلتا القصتين تتعلقان بالمال وفتنته ، والحرص الغبى من الأغنياء بمنع المال من مصارفه الشرعية فى البر والخير .

وطرفا الحوار فى قصة صاحب الجنتين رجلان متقابلان ، أحدهما كافر غنى والآخر مؤمن فقير .

﴿ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَرًا (٣٤) ﴾ [الكهف :٣٤] .

وطرفا الحوار فى قصة أصحاب الجنة ، الأخ الأوسط العاقل الأريب فى مواجهة باقى إخوته . . لقد انشق عليهم ورفض منطقهم الفاسد فى منع المساكين من حقوقهم الشرعية من مال الله الذى آتاهم .

﴿ فَانطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ (٢٣) أَن لاَّ يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ (٢٤) وَغَدَوْا عَلَىٰ حَرْدٍ قَادِرِينَ (٢٥) فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ (٢٦) بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ (٢٧) قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلا تُسَبِّحُونَ (٢٨) ﴾ [القلم : ٢٣ - ٢٨] .

وانتهى الحوار فى قصة صاحب الجنتين إلى العناد والإصرار على الكفر .

﴿ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا (٣٥) وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا (٣٦) ﴾ [الكهف : ٣٥ - ٣٦] .

وانتهى الحوار فى قصة أصحاب الجنة إلى التوبة والإنابة إلى الله والندم على ما فرط منهم .

﴿ قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ (٢٩) فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلاوَمُونَ (٣٠) قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ (٣١) ﴾ [القلم : ٢٩ - ٣١] .

وتشترك القصتان فى ضياع المال وفقد الثروة وذهاب الغنى ، فأصبحت الجنتان خاويتين على عروشهما ، وأصبحت الجنة كالصريم ، إلا أن الأمل مفقود تمامًا فى عودة الجنتين إلى طبيعتهما .

﴿ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَا أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿٤٢﴾ وَلَمْ تَكُن لَّهُ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾ ﴾ [الكهف : ٤٢ - ٤٣] .

أما أصحاب الجنة فكانت لهم ثقة فى رحمة الله وعفوه بعدما ندموا ندم توبة :

﴿ عَسَىٰ رَبُّنَا أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [القلم : ٣٢] .

٩ - من نماذج الحوار فى الآخرة :

ساق القرآن المجيد نماذج متعددة لألوان من الحوار ستجرى يوم القيامة وفى مواقف مختلفة تحسم قضايا جرى حولها الخلاف فى الحياة الدنيا ، ووصل الجميع إلى عين اليقين ، وتراءت الحقيقة كاملة ، وانزاحت حجب كثيرة ، ومن هذه النماذج :

*** ما يتعلق بألوهية المسيح عليه السلام ومزاعم النصارى حولها :**

﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ قَالَ اللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾[1] .

***** ما يتعلق بالمصير الإنسانى الأخير ، والجزاء الأخروى الأبدى ، وبشرى أهل الجنة وحسرة أهل الجحيم .

---

(١) المائدة (١١٦ - ١١٩) .

﴿ وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾[1] .

وتتوالى عقب ذلك مجموعة حوارات بين أصحاب الأعراف وأهل الجنة ، وأصحاب الأعراف وأهل النار ، ثم أهل النار وأهل الجنة .

وتنتهى تلك المجموعة من الحوار فى سورة الأعراف بفصل الخطاب .

﴿ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ ۝٥٠ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ۝٥١ وَلَقَدْ جِئْنَاهُم بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾[2] .

* * *

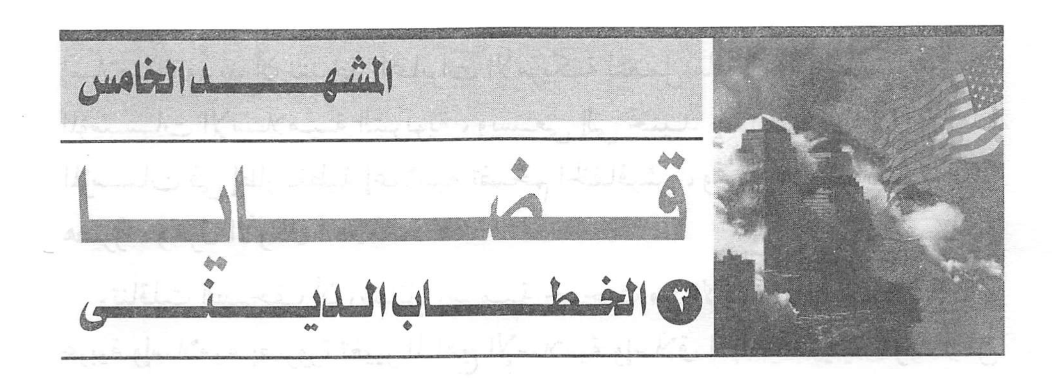
وبعد . .

فالحوار من ألزم واجبات العقل ، وآكد ضرورات الفكر ، مهما تعددت سبل الاجتهاد وبعدت شقة الخلاف وتباينت وجهات النظر .

---

(١) الأعراف (٤٤) .

(٢) الأعراف (٥٠ - ٥٢) .



● **العهد الجديد:**

فى الوقت الذى تواصل فيه القوات الأمريكية ذبح الشعب الأفغانى وتدمير طاقاته كلها نجد الإعلام الغربى يبرز ملامح العهد الجديد فى أفغانستان ويتباهى بالنقلة الجديدة التى تسعى إليها السياسة الأمريكية . .

لقد بدأ الحديث وسط أزيز الطائرات عن العناية بحديقة الحيوان فى كابول وتخصيص ملايين الدولارات لتجديدها . .

وكأن العناية بالحيوان ألزم من العناية بالإنسان !!

ثم توالت التغييرات ، فالناس يقفون طوابير لحلق لحاهم . . !!

والمرأة الأفغانية تتلهف على أحدث أزياء الموضة . . !!

والأغانى الهندية والأفلام الأمريكية تصدح فى الأماكن العامة . . !!

والمسارح تفتح أبوابها للشباب والشيوخ من الجنسين . . !!

انظروا كيف تسعى السياسة الأمريكية إلى اختراق الأخلاق وتلويث العرض ودفع الناس إلى سفاسف الأمور . .

ولست أدرى هل هذه هى أولويات الشعب الأفغانى بملايينه المشردة فى العراء بلا مأوى ولا مأكل ولا دواء ؟!

إن الإرهاب الأمريكى لن يقف عند حد ، إنه يريد إسلامًا جديدًا بلا عقيدة ولا قوة ولا شرف ، ويريد أن يسيطر على مناهج التعليم كى ينشأ جيل بلا هوية

إسلامية ، ويريد أن تتدخل المخابرات الأمريكية لتعمل ملفات لكل طالب علم فى المؤسسات الإسلامية التربوية ، ويسعى إلى تجنيد جواسيس له داخل هذه المؤسسات فى إطار تغطية إعلامية تضخم الخفافيش ، وتجعل من الرويبضة أسدًا هصورًا ، وتحول الأراذل أعلامًا . .

وتناقلت الصحف أن رسائل رسمية خرجت من الإدارة الأمريكية إلى دول عربية وإسلامية بضرورة تغيير المناهج الإسلامية وإغلاق المعاهد الدينية ، وقد أعلن الرئيس اليمنى على عبد الله صالح فى حوار صحفى مع رئيس تحرير الأهرام : أن اليمن قام بتوحيد مناهج التعليم الأساسى وألغى المعاهد العلمية ، ولولا هذه الخطوات لتعرض اليمن لمخاطر ومضايقات[١] .

تلك أمانيهم . . !!

فهل نستسلم للإرهاب الأمريكى ؟!

وعندما ألقى الرئيس الباكستانى خطابه الاسترضائى للولايات المتحدة الأمريكية يوم السبت ١٢ / ١٠ / ٢٠٠٢ م وتعهد بحظر التنظيمات الدينية والقضاء على المعاهد الإسلامية التى وصف المعلمين فيها بأنهم لا يحترمون الإنسانية ، وأكد مضيه فى تحديث باكستان على النمط الغربى . .

عندما ألقى الجنرال مشرف خطابه هذا اتصل به على الفور الرئيس الأمريكى چورچ بوش وشكره وأبدى إعجابه بالرؤية التقدمية والمتطورة للرئيس الباكستانى وجهوده لتطوير النظام التعليمى كما ذكر ذلك بيان للبيت الأبيض الأمريكى . .

ولم تكتف الولايات المتحدة بذلك بل تسعى إلى صياغة اتفاقية دولية تدعم دور المجتمع المدنى فى مواجهة التعليم الدينى ، وقد نجحت المملكة العربية السعودية فى إجهاض محاولة غربية لإضافة فقرة تدعو إلى تغيير برامج التعليم والمناهج المدرسية من خلال اجتماعات لجنة الأمم المتحدة لصياغة اتفاقية دولية لمكافحة الفساد . .

وذكرت مصادر صحفية أن الوفد السعودى تصدى لكل المحاولات الرامية إلى تضمين الاتفاقية أية بنود تمس الأمور السياسية أو تسهل التدخل فى الشئون الداخلية للدول وتتضارب مع أهداف الإسلام ومبادئ الشريعة الإسلامية[٢] .

(١) صحيفة الأهرام ١١ / ١ / ٢٠٠٢ م .
(٢) صحيفة الأهرام ٣١ / ١ / ٢٠٠٢ م .

● **كلمات مظلومة :**

من الكلمات التى ظلمت فى العصر الحديث ظلمًا بينًا كلمات : التطور ، والتجديد ، والتنوير ، والتحديث . .

لقد أضافوها إلى الدين وأرادوا بها طرح رؤى متباينة ، لا علاقة لها بالدين ، وحاولوا تبريرها أو تمريرها إسلاميًا ، والإسلام منها براء . .

إن التجديد والتطوير إنما هو التزام أمين وصادق بضوابط الدين وعودة إلى الأصول الطاهرة النقية بعيدًا عن الزيف والأباطيل . .

إن تطوير الخطاب الدينى يقوم أولاً وأساسًا على تأكيد الذاتية الإسلامية التى تؤمن بأن الإسلام دين عالمى يصلح الحياة سياسيًا واقتصاديًا واجتماعيًا . .

والخطر الذى يجب حصاره ومحاصرته هو الدعاوى الكاذبة التى تريد أن تجعل من الإسلام مجرد علاقة روحية خاصة بين العبد وربه ، يمارسها المسلم داخل جدران المسجد وكفى . .

إن تأكيد الذاتية الإسلامية لا يعنى بحال من الأحوال القضاء على العقائد الأخرى ولا يعنى العنف فى مواجهة الآخرين ، فطبيعة العقائد أنها متباينة ومتناقضة ، وكل صاحب عقيدة يفترض فى عقيدته أنها الحق ولو تطرق الشك إليها ما كانت عقيدة . .

ومع هذا التناقض العقدى فإن التعايش السلمى والتعاون الإنسانى والتعارف البشرى هو الذى يجب أن يسود العلاقات الإنسانية . .

قال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ** ⑬ ﴾ [**الحجرات** : ١٣] .

وقال جل شأنه : ﴿ **لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ** ⑧ ﴾ [**الممتحنة** : ٨] .

- **وأنتم الأعلون:**

تعالت الصيحات - فى هذه الفترة الأخيرة - مطالبة بتحسين صورة الإسلام فى العالم الغربى ، ووصل الأمر إلى مبالغات وضعت الإسلام والمسلمين فى قفص الاتهام ، وأصبحنا مطالبين - أفرادًا ومؤسسات - بأن ندافع عن ديننا وأمتنا ، وأن نقف مبهوتين مكبلى الأيدى ، مكممى الأفواه إلا ترديدًا للشبهة ودفعًا للتهمة . .

وهذا منتهى الإحباط وقمة الخطر . . !!

إننا نحن - المسلمين - أولى الناس بالعزة والكرامة ، ونحن نملك من صدق العقيدة وصحة الشريعة وكمال الدين ما يجعلنا نفاخر الدنيا كلها ونواجه العالمين . .

ومن كان بيته بالزجاج فلا يرمى غيره بالحجر ، فهؤلاء - فى العالم الغربى - فقدوا إنسانيتهم ، وظلموا البشر ، وضيعوا حقوق الإنسان وتسلطوا على الشعوب وأهلكوا الحرث والنسل . .

وهم يريدون أن يشغلونا عن تبليغ الدعوة ، ويسعون جاهدين للحيلولة دون انتشار الإسلام فى عقر دارهم ، ويتمثلون مقولة الجاهليين الأول : « لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون » .

فلنعتز بإسلامنا ، ولنبدأ الدعوة الصحيحة ، ولنقدم الإسلام سلوكًا وعملاً ، ولنتخط هذه الحجب التى نسجها أعداؤنا وخدعونا بها ، وليكف أصحاب العزائم الخائرة من بنى جلدتنا عن تملق هؤلاء واسترضاء أئمة الكفر ، فإنهم لا عهد لهم ولا ميثاق ، وصدق الله العظيم حيث يقول : ﴿ **الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ فَلا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا** ﴾ .

ورغم أهمية الدفاع عن النفس أمام الحقد الغربى إلا أن هذه القضية ليست فى المقام الأول ، ففقه الأولويات يجعلنا نبدأ بالبناء الذاتى لأنفسنا وتعميق الإيمان فى حياتنا كلها . .

● خطباء الفتنة:

فى كل مجال الأدعياء والدخلاء الذين يسيئون للعمل أو المهنة أو النشاط بدءاً بالسياسة وانتهاء بالطب والهندسة والمحاماة . .

ومجال الخطابة الدينية لم يسلم من ذلك ، فخطبة الجمعة لها منزلة سامية فى الدين وكان يتولاها الرسول ﷺ والخلفاء الراشدون من بعده والأئمة العدول على مدى التاريخ الإسلامى . .

ولكنها اليوم أصبحت وظيفة لها مؤهلات ، وعلى الرغم من أن هناك خطباء أكفاء يؤدون رسالتهم بأمانة وشرف إلا أن الأدعياء اقتحموا هذا المجال وأصبحوا فتنة فى المجتمع . .

وخطباء الفتنة هؤلاء أنماط ، منهم :

* نمط جاهل بكل ما تحمل الكلمة ، لا يحسن قراءة آية أو حديث ، ولا يكاد يقيم كلمة عربية صحيحة ولا يستطيع تركيب جملة مفيدة ، ولو كان الأمر بيدى لحكمت بجلدهم فى الميادين العامة . .

* نمط سفيه لديه ألسنة حداد يسب المسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات ، ويتخذ من منبر رسول الله ﷺ وسيلة فحش فى القول وهجر فى الحديث . .

وحكمى فيهم أن تقرض ألسنتهم بمقارض من حديد . .

* نمط منافق يقول بلسانه ما ليس فى قلبه ، ويغير لغته مع كل مأرب ، ويلوى النصوص الشرعية مع كل نفع مادى رخيص ، ويحرص على صدارة المواكب بأى ثمن ، ويتظاهر بالخشوع ويحمل بين جنبيه قلوب الوحوش . .

هذا النمط أضاع هيبة العلماء وصرف الناس عن دعوة الحق وجعل الشباب يرتمى فى أحضان الإرهاب والتطرف . .

* نمط ضال مضل يتبنى أفكارًا مغلوطة ويروج لفهم سقيم فى الدين ، ولا يحمل من مؤهلات الدعوة إلا الصوت الجهير وقوالب فكرية عفا عليها الزمن . .

وهذا النمط كسابقه المنافق يعد على الأصابع ، إلا أن تأثيرهما على فتنة الأمة كبير ، فالمنافق يطرد طلاب العلم ، والضال يستقبلهم ، وحكمى فى هذين النمطين أن ينفوا من الأرض ويحاصروا فى أخبية مظلمة لا يصل إليهم أحد . .

● **ثقافة الداعية:**

ثقافة الداعية فى المقام الأول ليست تعلم الكومبيوتر أو إتقان اللغة الأجنبية ، وإنما المؤهلات الصحيحة لهذه الثقافة فى الإطار الإسلامى يتقدمها العلم بالكتاب العزيز محكمه ومتشابهه ، وأسباب نزوله وتفسير آياته ووجوه إعجازه وأنواع قراءاته ، ويلى هذا معرفة السنة النبوية المطهرة دراية ورواية ، والاسترشاد بآثار السلف الصالح فى فهم النصوص الشرعية ، ويكون لدى الداعية الحس اللغوى بحيث يدرك الخطاب العربى فى حقيقته ومجازه ، ونحوه وصرفه . .

وينطلق ذلك كله من ملكة عقلية لها جودة استنباط وبصيرة إدراك وخبرة تاريخ وحياة ، ويحاط ذلك كله بسياج من التقوى والخلق الحميد . .

وهذه المؤهلات هى تفسير قوله تعالى : ﴿ **قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ** ﴾ . .

فالبصيرة لا تكون إلا بعلم وعمل . .

والواقع الحالى للتعليم الأزهرى لا ينهض بهذه الثقافة الواجبة وأوضح دليل على ذلك أن وزارة الأوقاف تعلن فى كل فترة عن حاجتها إلى ستة آلاف إمام وخطيب فيتقدم اثنا عشر ألف من خريجى جامعة الأزهر فلا ينجح فى المسابقة إلا ألف أو ألفان فقط . .

فنحن فى حاجة إلى مؤتمر عام لمناقشة التعليم الأزهرى والنهوض به كمًا وكيفًا . .

● **مشروع قومى للدعوة:**

إن الدعوة الإسلامية بقضاياها الأخلاقية والاجتماعية ليست وقفًا على علماء الأزهر الشريف بل هى واجب يتحمل كل مسلم نصيبًا منها ، بحيث يسائل كل واحد نفسه : ماذا قدم لدينه ؟!

وهذا المعنى يدفعنا إلى ضرورة أن يكون هناك مشروع قومى للدعوة تساهم فيه وزارات الإعلام والثقافة والتربية والإسكان والمواصلات والشئون الاجتماعية جنبًا إلى جنب مع الأزهر الشريف ووزارة الأوقاف .

ما قيمة الدعوة التى يتحملها علماء الأزهر أمام بث إعلامى يحطم الأخلاق ويشيع الجريمة ؟!

وماذا تجدى الدعوة التى يقوم بها علماء الأزهر أمام أسرة تعيش فى المقابر أو فى غرفة واحدة ؟!

وكيف تثمر الدعوة التى تناط بعلماء الأزهر أمام مواصلات يتلاحم فيها الرجال والنساء ؟!

وهل تحقق مناهج التربية الدينية فى وزارة التربية والتعليم أهدافها العقدية والسلوكية ؟

إن الملاحظ أن كتب التربية الدينية اتجهت اتجاهًا ماديًا يقوم على احترام إشارة المرور والعناية بالبيئة وتنشيط السياحة مع أن هذه الأهداف فى غيبة الوازع الدينى المرتبط بالله عز وجل لا قيمة لها ولا جدوى منها .

ثم إن مرحلة المراهقة ، التى يمر بها الشباب وتثير تساؤلات كثيرة ، يقضيها الطلاب فى الجامعات بلا ثقافة إسلامية .

فمن المسئول عن هذا التخبط وهذا الضياع الأخلاقى ؟ هل علماء الأزهر وحدهم يتحملون المسئولية ؟

إننا فى حاجة ماسة إلى مشروع قومى للدعوة تشارك فيه كل أجهزة الدولة الرسمية والشعبية حتى نستطيع أن نحقق الأمن الأخلاقى والاجتماعى لمصرنا المحروسة .



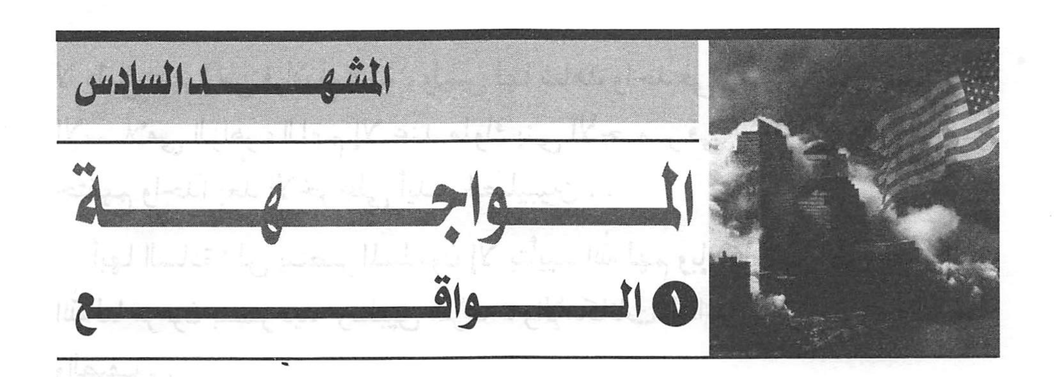
المشهد السادس

المواجهة

١ الواقع

٢ عبرة التاريخ

٣ بشائر النصر للأمة الإسلامية



المشهد السادس

المواجهة

١ الواقع

● الآن حصحص الحق:

أعلن وزير الدفاع الأمريكى فى شهادته أمام الكونجرس أن ارتفاع أسعار البترول له نتائج اقتصادية خطيرة من وجهة نظر الأمن القومى الأمريكى ، وقال : إن الولايات المتحدة قادت عملية تحرير الكويت ، وتقف إلى جانب السعودية اليوم ليس من قبيل « الكرم » ، فهى تحمى مصالحها مثلما تقوم بحماية حلفائها . . وطالب نواب الكونجرس الإدارة الأمريكية بوقف المساعدات ومبيعات الأسلحة للدول الأعضاء فى منظمة « أوبك » لإجبارها على زيادة الإنتاج . . !! (الأهرام ٣ / ٣ / ٢٠٠٠ م)

ولنا ملاحظة من شقين :

الأول : رحم الله الشهيد الملك فيصل الذى وقف وقفة إسلامية رائعة فى حرب العاشر من رمضان عندما أدخل سلاح البترول وأشهره فى وجه الغرب الصليبى . . الأمر الذى يؤكد قدرة العالم الإسلامى على توجيه السياسة الدولية . .

الثانى : أقذف بهذا التصريح الأمريكى فى وجه المنافقين والأفاكين الذين خدعوا الأمة وزعموا أن التحالف الدولى فى معركة الخليج كان لنصرة المظلوم ، وأن المسلمين يجوز لهم الاستعانة بالمشركين والملحدين والشياطين على إخوانهم المسلمين . . !!

وأذكر أننى قلت فى مؤتمر عالمى بمكة المكرمة : إن الاستعانة بالمشرك على المسلم

لا دليل عليها من قرآن أو سنة ، وليس لها شاهد واحد فى السيرة النبوية أو التاريخ الإسلامى الزاهر ، اللهم إلا عند ملوك بنى الأحمر فى الأندلس ، الذين لقوا حتفهم واحدًا بعد الآخر على أيدى الصليبيين . .

أيها السادة : لن ينتصر المسلمون إلا بتأييد الله لهم وبإمكاناتهم الذاتية ، وتأييد الله لنا مرهون بنصر دينه وتطبيق شرعه ، والإمكانات الذاتية مرهونة بوحدة الكلمة والصف . .

﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ﴾[الصف : ٤]

● دعاة الهزيمة:

فى لهجة تجمع بين الجد والهزل ، وتوصف بالمأساة والملهاة - أعلن العقيد معمر القذافى فى قمة عمان (مارس ٢٠٠١ م) أنه يريد أن يأتى معه العرب إلى إفريقيا ، وأن القدس فى « ستين داهية » ، وأنها مجرد جامع ، ويمكن أداء الصلاة فى أى مكان ، ولا مانع لديه من دخول إسرائيل إلى الجامعة العربية . . !!

وأقول :

فى الوقت الذى تنساب دماء الفلسطينيين أنهارًا على الأرض المباركة ، ويوأد الأطفال والنساء والشيوخ . .

وفى الوقت الذى يعلن فيه « شارون » أنه لا أحد يستطيع محاكمة إسرائيل ، وأن قرار استقبال لجنة تقصى الحقائق خطأ تاريخى ، وأن لسانه يقطع إذا وافق على تقسيم القدس . .

وفى الوقت الذى تقف فيه الأمم المتحدة عاجزة عن نشر قوات دولية لحماية الفلسطينيين من بطش أحفاد القردة والخنازير بسبب الفيتو الأمريكى . .

فى هذا الوقت العصيب يخرج علينا هذا العقيد بتصريحات بائسة ويائسة ، تشارك فى الهزيمة ، وتعمل على وأد بقية من نضال لدى الشعب العربى المسلم . .

فإذا قارنا هذا الموقف من زعيم عربى وحاكم مسلم بموقف أطفال الحجارة وشهداء الانتفاضة وأبطال العمليات الفدائية فماذا نقول ؟!

وعلى الرغم من المرارة العميقة التى يتجرعها المسلم من مثل هذه الزعامات فإن الأمل فى النصر لن يخبو ، وإن الأسر الصهيونى للقدس لن يطول ، وإن الجهاد ماض إلى يوم القيامة ، فطوبى للمجاهدين والشهداء وسحقًا لدعاة الهزيمة وغرباء الأمة . .

ولنتذكر قول الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ (٢٧) ﴾ [الأنفال : ٢٧] .

● الوعى المفقود :

أصدر وزير الخارجية السعودى بيانًا فى ٢٩ / ٤ / ٢٠٠٢ م يندد فيه بتقارير صحفية أمريكية تتهم الرياض بدعم الإرهاب من خلال حملة لجمع التبرعات لمصلحة الشعب الفلسطينى . .

وأوضح وزير الخارجية السعودى أن المساعدات السعودية إنسانية فى طبيعتها ، وترمى إلى مساعدة الأسر الفلسطينية التى فقدت أربابها أو بعض أفرادها . .

وقال إن مساعدات الرياض تتجه مباشرة إلى الشعب الفلسطينى من خلال الصليب الأحمر وغيره من هيئات الإغاثة . .

يصدر هذا البيان فى وقت يتباهى فيه السفاح شارون بأن عملية الجدار الواقى تتعقب النشطاء الفلسطينيين وتدمر البنية التحتية للمقاومة وتجتث القيادات المناضلة . .

ومن قبل قامت الدنيا ولم تقعد من أجل سفينة قيل إنها تحمل السلاح للفلسطينيين . . !!

لا أدرى هل نحن فى وعى العقل أو فى غيبوبته ؟!

هل الامتناع عن تسليح الشعب الفلسطينى جريمة أو فضيلة ؟!

هل ترك السفاح شارون يستأصل الرجال والنساء والولدان ويهلك الحرث والنسل هو من الخيانة العظمى للدين والأمة أو من أمور السياسة الرشيدة ؟!

وما قيمة المساعدات الإنسانية بعد القبور الجماعية وتحريق الأرض وتدمير كل شىء ؟!

هل واجب الأمة الإسلامية أن تقدم أكفان الموتى وصدقات القبور كما يفعل سائر البشر من الوثنيين والشيوعيين بل واليهود أحيانًا ؟

هل نحن أصحاب قضية نجاهد من أجلها ونضحى فى سبيلها وننتصر لها ونقدم السلاح ونحمله ونتقدم الصفوف أو نحن متفرجون على مسرح غابة من الحيوانات المفترسة ؟!

إن الأمر جد خطير ، والجهاد فريضة ماضية إلى يوم القيامة ، ﴿ **قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ** ﴿١٤﴾ ﴾ [**التوبة** : ١٤] .

● بيان هزيل :

انعقد فى القاهرة بتاريخ ١٢ / ١٠ / ٢٠٠٠ م المؤتمر الإسلامى العالمى لمجمع البحوث الإسلامية بالتعاون مع المنظمات الإسلامية العالمية لمناصرة قضية القدس ، وتمخض المؤتمر عن بيان جاء فيه أن المسلمين دعاة سلام شامل وعادل ، وأن علماء الأمة الإسلامية يهيبون بالمنظمات الدولية ، ومجلس الأمن ، والأمم المتحدة ، ومنظمة المؤتمر الإسلامى ، وجامعة الدول العربية ، وجميع منظمات حقوق الإنسان أداء رسالتها الواجبة حيال هذا العدوان الصارخ ، ويستصرخون الضمير العالمى فى كل مكان فى المآسى التى تمثل اقتلاع شعب من وطنه وقتله وتشريده وإبادته وتشريد الأطفال والنساء والشيوخ ، وينادون الدول المناهضة للطغيان أن تعمل على وقف حمامات الدماء التى تراق ظلمًا وعدوانًا فى القدس وفلسطين . . !!

كم يأسف اللبيب من مثل هذا البيان الهزيل الذى يعيد الأمة إلى الاستجداء من أعدائها ، ويمتهن كرامة المسلمين باللجوء إلى مؤسسات ومنظمات ودول تساند العدوان وتدعم الجريمة وتنتقص من الحرمات الإسلامية . . !!

لقد كفرنا بالأمم المتحدة والولايات المتحدة ومنظمات حقوق الإنسان التى تحركها وتسيطر عليها الصهيونية العالمية . . !!

وكيف نستصرخ الطغاة لحرمات لم نصنها ولمقدسات لم نحافظ عليها ولأرض لم ندافع عنها ؟!

لقد ذكرنى هذا البيان بموقف آخر ملوك الأندلس وهو يتلفت على ملكه الضائع ويبكى فتقول له أمه : تبكى بكاء النساء على ملك لم تحافظ عليه محافظة الرجال . . !!

إن الكلمات الجوفاء والبيانات الشمطاء والقرارات الساذجة لن تغير واقعًا ، ولن تسترد حقًا ، ولن ترد عدوانًا ، ولن تصون عرضًا . .

إن جنيهًا واحدًا يدفعه كل مسلم يمكن أن يجمع مليارًا من الجنيهات فى يوم واحد ، ولو فعلنا ذلك لقدمنا عملاً بطوليًا رائعًا ، ولو تكرر ذلك شهريًا لكان ذلك إنجازًا فذًا يغير وجه التاريخ . .

فهل هناك جهة أمينة تتولى مسئولية هذه الأمانة دعمًا للقدس الشريف ومناصرة لشعب فلسطين ؟!

● قرارات مع وقف التنفيذ :

قام مجمع البحوث الإسلامية فى مؤتمراته الأولى بواجبه خير قيام ، وعايش قضايا الأمة الإسلامية ، وقدم قرارات سبقت عصرها ، ومازلنا فى حاجة إلى تأكيد الالتزام بها والولاء لها . .

وها نحن أولاء نقرؤها اليوم بعد ثلاثين سنة وكأنها صدرت منذ لحظات ، وعلى سبيل المثال فإن المؤتمر السادس المنعقد فى المحرم ١٣٩١ هـ - مارس ١٩٧١ م قد خصص الجزء الأكبر من نشاطه للبحث فى العدوان الإسرائيلى الصهيونى على أرض فلسطين السليبة ، وقرر ما يأتى :

١ - الجهاد بالنفس والمال أصبح فرض عين على كل مسلم ومسلمة ، ولذلك يدعو المؤتمر المسلمين جميعًا أينما كانوا إلى النفير العام . .

٢ - كل حل لا يعيد جميع الأراضى المحتلة إلى العرب ، وفى مقدمتها مدينة القدس بكاملها سيادة وإدارة ، هو حل مرفوض جملة وتفصيلاً ، كما أن فكرة تدويل القدس بأية صورة من الصور مرفوضة كرفض تهويدها . .

٣ - يستنكر المؤتمر موقف الولايات المتحدة الأمريكية فى دعم إسرائيل سياسيًا وعسكريًا واقتصاديًا ، على الرغم من تماديها فى طغيانها وعنادها وصلفها ، ويعد ذلك عداءً سافرًا للعالم الإسلامى والعربى .

٤ - يصر المؤتمر على أن من واجب الدول الإسلامية قطع علاقاتها السياسية والاقتصادية بإسرائيل .

٥ - يناشد المؤتمر سائر الدول المحبة للسلام قطع علاقاتها مع إسرائيل .

٦ - يدعو المؤتمر الدول الإسلامية إلى إرسال المتطوعين من الطيارين والفنيين إلى جبهة القتال ، كما يدعو الشعوب الإسلامية للمساهمة بأنفسهم وأموالهم لمعاونة إخوانهم فى خطوط المواجهة الأمامية . .

٧ - يحث المؤتمر الدول العربية على حشد جميع طاقاتها المادية والمعنوية دعمًا للجبهتين الشرقية والغربية ، ويدعو إلى وضع الوحدة العسكرية موضع التنفيذ . .

٨ - يقرر المؤتمر أن المقاومة الفلسطينية تمثل القيام بواجب شرعى فى الجهاد لتحرير أرضها ومقدساتها ، ولهذا يوصى المؤتمر جميع الدول المجاورة للوطن المحتل أن ييسروا للعمل الفدائى القيام بمهمته الشاقة الشريفة على الوجه الأكمل ، ولا يجوز لأحد ضرب المقاومة أو أن يضع العراقيل فى سبيل ذلك . .

رحم الله علماء الأمة الذين صاغوا هذه القرارات وقدموها لأولى الأمر ليتحمل كل إنسان مسئوليته أمام الله عز وجل . .

● **أموال المسلمين:**

أذاعت وكالات الأنباء أن مؤسسة مالية عالمية كشفت فى دراسة لها عن أن حجم الثروات الخليجية الموجودة فى البنوك الأمريكية والأوربية بلغ ١,٤ تريليون دولار ، يملكها ٢٠٠ ألف شخص ، وذكر راديو « مونت كارلو » أن ٧٥ ألف شخص من دولة خليجية واحدة يمتلكون ٧٠٠ مليار دولار فى بنوك الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا وسويسرا[١] .

---

(١) صحيفة الأهرام ٢٣ / ١٢ / ٢٠٠١ م .

إن الأمة الإسلامية تصنف عالميًا بأنها دول نامية أو فقيرة ، ويموت أطفالها ونساؤها وعجائزها جوعًا فى أماكن كثيرة من الوطن الإسلامى الكبير . .

وهذه الفئة التى تحتكر الثروة لا تتلفت إلى هؤلاء الصرعى ولا تؤدى حق الله فى مال الله ، وقد قال رسول الله ﷺ : « **هم الأخسرون ورب الكعبة ، فلما سئل : من هم ؟ قال : هم الأكثرون أموالاً إلا من قال : هكذا وهكذا من بين يديه ومن خلفه ، وعن يمينه وعن شماله ، وقليل ما هم** » .

ثم إن هذه الأموال قد وضعت فى أيدى أعداء الأمة الإسلامية من بنى صهيون وذوى النوايا الصليبية ينتفعون بها ويخربون بها ديار المسلمين .

فمتى يعود الوعى إلى أصحاب هذه الثروات ؟!

ولنتذكر أن الولايات المتحدة الأمريكية خانت الأمانة وسطت على أموال المسلمين من إيران والعراق والسودان والجمعيات الخيرية والمنظمات الإنسانية فى شتى أنحاء العالم بحجة محاربة الإرهاب ، وهى بذلك العمل الدنىء تعد أكبر دولة إرهابية ، وأخطر من الشيطان على البشرية . .

فهل آن لأصحاب هذه الثروات أن يسحبوا أموالهم من أيدى أعداء المسلمين ويعودوا بها إلى أحضان الأمة الإسلامية ؟!

● **أغرب القضايا :**

ارتكبت القوات الإسرائيلية مجازر بشعة فى جنين ورام الله وكافة المدن الفلسطينية خلال كارثة المحرم ١٤٢٣ هـ ، وحاصرت ياسر عرفات وأعوانه فى حجرتين ومنعت عنهم الطعام والشراب والدواء وأطلقت نيران مدافعها وصواريخها حولهم من كل جانب . .

وتنادى الشرفاء فى العالم أجمع بمحاكمة السفاح شارون على جرائم الحرب التى ارتكبها فى حق الفلسطينيين . .

ووسط هذه الكارثة المروعة يصدر ياسر عرفات من داخل معتقله قرارًا بتشكيل لجنة قضائية لمحاكمة المتهمين باغتيال وزير السياحة الإسرائيلى رَحْبعام زئيفى ، وتنعقد هذه المحكمة الهزلية داخل المعتقل الرئاسى وتصدر أحكامًا على أربعة متهمين ، تتراوح بين عام وثمانية عشر عامًا ويصدق عليها الرئيس المعتقل بتاريخ ٢٥ / ٤ / ٢٠٠٢ م . . !!

بالله عليكم أى خبل وجهل تقوم به السلطة الفلسطينية إرضاء للسفاح شارون؟!

ما قيمة قتيل يهودى أو قتلى يهود أمام آلاف القتلى الفلسطينيين من الرجال والنساء والولدان ؟

ثم من المجرم السفاح الإرهابى ؟

إن الإسرائيلى سواء كان وزيرًا أو مواطنًا ، وسواء كان عسكريًا أو مدنيًا ، وسواء كان رجلاً أو امرأة هو المعتدى الأثيم الذى يغتصب الأرض ويدنس المقدسات ويستبيح الدماء . .

لقد اغتصبت الدولة اللقيطة « إسرائيل » ثمانية وسبعين فى المائة من أرض فلسطين التاريخية وتأبى أن تعترف بحق الوجود الفلسطينى فى اثنين وعشرين فى المائة وهى الأرض التى احتلت عام ١٩٦٧ م . .

إن إسرائيل تجمع شذاذ الآفاق اليهود ليعيشوا فى أرض فلسطين وتمنع عودة اللاجئين الفلسطينيين وتذبح البقية الباقية . . !!

إنه من العار أن تتعاون السلطة الفلسطينية لحفظ الأمن الإسرائيلى أو أن تصدر بيانات عنها تدين العمليات الفدائية الاستشهادية ضد كل ما هو إسرائيلى ، أو أن تعتقل المسئولين عن المقاومة الفلسطينية المسلحة ، أو أن تمنع وصول الأسلحة للدفاع عن المقدسات والحرمات . .

﴿ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ (١٢) أَلا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (١٣) ﴾ [التوبة : ١٢ - ١٣] .

● موائد اللئام:

يواصل سفاح إسرائيل « شارون » التقتيل والتدمير للشعب الفلسطينى تحت سمع العالم وبصر الأمم المتحدة وحماية الولايات المتحدة ، وفى تحدٍّ سافر وعدوان غاشم وعقلية جهولة وعنصرية بغيضة . . وننظر حولنا إلى العالم العربى والإسلامى فنجده يتسول على موائد اللئام هنا وهناك يستجدى حقه فى عرضه ومقدساته وحياته وأرضه . . !!

وما هكذا تنال الحقوق . . !!

لن يسلم الشرف الرفيع من الأذى ∴ حتى تراق على جوانبــــه الـــدم

إن ألف مليون مسلم أصبحوا غثاء كغثاء السيل ، لا يعبأ بهم أحد ، لأنهم متفرقون تتوزعهم أهواء شتى ، رحمهم مقطوعة ، وبأسهم بينهم شديد ، وأموالهم فى أيدى أعدائهم . .

لقد قلت مرارًا إن الأمم المتحدة أعجز من أن ترد حقًا أو تحمى وطنًا أو تصون مقدسًا للمسلمين . .

والذين ما زالوا يطرقون أبوابها يلهثون وراء السراب ، وإن دعاوى حفظ الأمن والسلام العالمى وحقوق الإنسان والمواثيق الدولية كلها فى مهب الريح تلقيها الأمم المتحدة فى أعماق البحر الأسود أو الفضاء البعيد ، وهى مفاهيم توظف لخدمة الاستعمار الجديد . .

وفى تقرير لجنة القضاء على التمييز العنصرى التابعة للأمم المتحدة تبين أن عقوبة الإعدام فى الولايات المتحدة تقوم على تحيز عنصرى وأن ٥٤٪ من المحكوم عليهم بالإعدام هم من الأقليات التى تمثل ٢٠٪ من السكان ، وأن وحشية الشرطة هناك قائمة على مشاعر التحيز . .

ومن المعروف أن الولايات المتحدة عرقلت مؤتمر مكافحة العنصرية الذى عقد فى أواخر أغسطس سنة ٢٠٠١ م لموقفها الرافض لوصف الصهيونية بالعنصرية وامتناعها عن دفع التعويضات لسياسة الرق الإفريقى الذى أهلك مائة وأربعين مليونًا من الأفارقة على أيدى الأوربيين . . !!

إن الحقيقة الغائبة عن المسلمين هى قوله تعالى :

﴿ وَلاَ يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا (٢١٧) ﴾ [البقرة : ٢١٧] .

● منطق الأذلين :

بلغنى أن الشيخ محمد الغزالى - رحمه الله تعالى - كان يلقى درسًا فى إحدى القرى فسمع مناديًا خارج المسجد يقول : طفل تائه يا أولاد الحلال . . !!

فقال الشيخ لجلسائه : هذا الرجل يبحث عن طفل تائه ، ونحن أولى أن نبحث عن أمتنا التائهة . . !!

ودلالة الخبر عميقة الأثر ، فنحن أمة غاب وعيها وفقدت هويتها ، واستكانت للذل ، وتمكن منها عدوها فسلب مقدساتها واغتصب أرضها وسحق رجالها ونساءها وأطفالها ، تحت سمع وبصر العالم أجمع . . !!

إن ما يجرى للشعب الفلسطينى فى الشهر الحرام (المحرم ١٤٢٣ هـ) وفى البلد الحرام (القدس الشريف) وداخل المسجد الأقصى يندى له جبين الشرفاء من كل ملة وجنس . .

لكن الأمة الإسلامية لا تقدم إلا الصراخ والعويل وسلاح الكلمات الجوفاء ، والحمقاء ، فلم تحرك نكبة فلسطين لدى الأمة ما يتناسب مع جرائم السفاح شارون وجنوده إخوان القردة والخنازير ، وقد مضت الجريمة الإسرائيلية فى خطتها المرسومة ولم يفعل العرب والمسلمون إلا ما يفعله سائر الناس فى العالم كله ، بل لم يزد على ما يقوم به بعض أنصار السلام داخل إسرائيل نفسها . . !!

فالمظاهرات الصاخبة هنا وهناك ، والوعود بتقديم الخيام والدواء والغذاء لجرحى الشعب الفلسطينى ، وهذا هو ما يقدمه كل وثنى أو شيوعى ، بل قد يكون هؤلاء الذين على غير الملة أكثر منا مساعدة فى هذا الجانب . .

فتلك مأساة مارستها أمتنا الإسلامية أكثر من مرة فى السنوات العشر الأخيرة ، مع البوسنة والهرسك وكوسوفا والشيشان والعراق وأفغانستان والصومال وغيرها ، ننتظر ببلاهة وسذاجة حتى تقع الجريمة ويباد الشعب وتنتهى المعركة ثم نسارع لإعادة التعمير . . !!

أى منطق هذا ؟!

إنه منطق الأذلين الجبناء الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة ، وهم المنافقون الذين توعدهم الله تعالى فى قوله :

﴿ وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ لا يُوَلُّونَ الأَدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولاً (١٥) قُل لَّن يَنفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا لاَّ تُمَتَّعُونَ إِلاَّ قَلِيلاً (١٦) ﴾ [الأحزاب : ١٥ - ١٦] .

● **أضعف الإيمان:**

ما زال الضعف والعجز والهوان العربى والإسلامى قائمًا أمام كارثة المحرم ١٤٢٣هـ ، التى ألحقها السفاح شارون بالشعب الفلسطينى ، ولم تقدم الدول الإسلامية والعربية شيئًا يتناسب مع حجم هذه الكارثة ، ولم يقدموا من المعونات الطبية وأكفان الموتى أكثر مما قدمه الوثنيون فى الهند والشيوعيون فى روسيا واليهود من أنصار حركة السلام فى إسرائيل والصليبيون فى واشنطن وباريس ولندن وبون . .

وإذا كان العرب والمسلمون عاجزين عن حمل السلاح وتقديمه للشعب الفلسطينى لمواجهة هذه الكارثة فإن أضعف الإيمان يكمن فيما يلى :

١ - وقف تصدير البترول العربى والإسلامى ، فلن يكون البترول أغلى من الدم ، وإن هذه الدول المصدرة للبترول لن تكون فى منأى عن العدوان الصهيونى الصليبى ، فلتوطن نفسها من الآن على ترشيد الاستهلاك . . !!

وقد أحسنت العراق صنعًا عندما قطعت إمدادات البترول لمدة شهر فلن يصيبها أكثر مما أصابها من دمار عسكرى واقتصادى واجتماعى . .

٢ - إغلاق المطارات والموانئ العربية والإسلامية فى وجه الطائرات والسفن الأمريكية والبريطانية والإسرائيلية . .

٣ - طرد السفراء الصهاينة والصليبيين من عواصم العالم العربى والإسلامى ، وقد قامت جمهورية النيجر بخطوة طيبة عندما قررت بمفردها قطع العلاقات مع إسرائيل تضامنًا مع الشعب الفلسطينى وإدانة للعنف والإرهاب الصهيونى . .

٤ - ترحيل الرعايا الأمريكيين من كل الدول الإسلامية والعربية معاملة بالمثل ، فقد أقر مجلس الشيوخ الأمريكى مشروع قانون يمنع الطلبة والزائرين من العراق وإيران وليبيا والسودان وسوريا وغيرها من دخول الولايات المتحدة الأمريكية . .

٥ - سحب الأرصدة المالية من بنوك اليهود والصليبيين قبل أن يجمدوها ويستولوا عليها . .

هذا هو أضعف الإيمان ، ولنتذكر قول الله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ إِن شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٢٨)** ﴾ [التوبة : ٢٨] .

● **المواجهة الفكـريـة:**

عجز العرب والمسلمون عجزًا عسكريًا كليًا فى مواجهة الاستيطان الصهيونى المدعوم بالقوة الصليبية ، وباتت إسرائيل تسيطر سيطرة كاملة على فلسطين العربية . .

وأصيب العرب والمسلمون بصمت الموتى أمام هجمة إعلامية شرسة تكيل الاتهامات للإسلام والمسلمين ، وبدأ البعض يردد مقولات حمقاء حول حوار الأديان وحوار الحضارات وثقافة السلام والعولمة ، وكلها بدائل لمفهوم واحد هو تأكيد الهيمنة الصهيونية الصليبية على الثقافة الإسلامية . .

ووقف البعض مدفوعًا بالإخلاص أو مخدوعًا بالإغراء يرد الاتهام ويترنح أمام السهام التى تتساقط هنا وهناك . .

وأرى من السفه أن نشغل أنفسنا بالرد على هذه الاتهامات وتفنيدها فهم لا يسمعون ، وإذا سمعوا لا يفهمون ، وإذا فهموا لا يعترفون . . !!

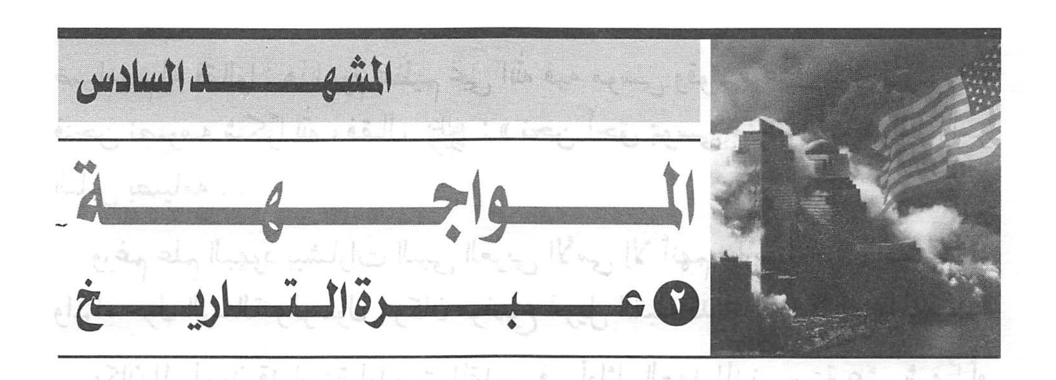
فالقضية ليست عندهم محاولة للفهم أو حوارًا للوصول إلى الحق ، وإنما هى تخدير العقل الإسلامى وتمييع القضية الإسلامية . .

والحل الصحيح هو أن نهاجم الفكر الصهيونى الصليبى ، ونعرى مفاهيمه الخاطئة ونفضح خططه الظالمة ، ونكشف حقارة ثقافته ، ودناءة عقيدته ، وسوء تفكيره وخبث نواياه . .

وهذه نماذج لمحاور يجب أن نطرحها كى نقوم بهذه المواجهة الفكرية :

- اليهود أعداء البشرية
- اختراق الصهيونية للنصرانية
- تاريخ الصراع الكنسى الأوربى
- التاريخ العفن للحروب الصليبية
- سوءات الاستعمار الأوربى فى إفريقيا وآسيا
- الوجه القبيح للحضارة الغربية قديمًا وحديثًا
- بروتوكولات حكماء صهيون
- الصراع الغربى حول مصادر الطاقة فى العالم الإسلامى

وصدق الله العظيم حيث يقول : ﴿ ... **وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا** ... (٢١٧) ﴾ [البقرة : ٢١٧] .



المشهد السادس

المواجهة

٢ عبرة التاريخ

● يهود يثرب (من المأوى إلى المنفى)

استقر اليهود فى يثرب فرارًا من بطش النصارى بهم فى الشام ، ومحاولة للسيطرة على طريق التجارة بين جنوب الجزيرة العربية وشمالها . لكنهم لم يحفظوا حق الجوار لأهل يثرب فأغروا بينهم العداوة والبغضاء ، حتى لقد ألقوا الوهن فى قلوبهم من نبى آخر الزمان الذى كان بنو إسرائيل ينتظرونه ، وهددوا الأوس والخزرج قائلين : **إن نبياً قرب زمانه نتبعه فنقتلكم معه قتل عاد وإرم** . .

لقد أرادوا الوقيعة بين الأوس والخزرج وبين النبى الخاتم قبل أن يبعثه الله عز وجل . .

وأكرم الله أهل يثرب بلقاء رسول الله ﷺ فى العقبة أواخر العهد المكى وبايعوه على النصرة والهجرة إليهم حتى يفوزوا بشرف السبق . . وجاء هذا المعنى فى قوله تعالى : ﴿ **وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ (٨٩)** ﴾ [**البقرة** : ٨٩] . .

وعقب الهجرة النبوية بسط الرسول ﷺ يد السلام لليهود وعقد معهم معاهدة تاريخية كفلت للفريقين حرية العقيدة ، وتضمنت الدفاع المشترك ، وأكدت حق الجميع فى الأمن والسلام . .

بل إن الرسول ﷺ صام يوم عاشوراء لما وجد اليهود صيامًا ، وسألهم عن سر

صيامهم له فقالوا : هذا يوم عظيم نجى الله فيه موسى وقومه وغرق فرعون وقومه ، فنحن نصومه شكرًا لله ، فقال ﷺ : « نحن أحق بموسى منكم » ، فصامه وأمر الناس بصيامه . .

ورغم علم اليهود ببشارات النبى العربى الأمى إلا أنهم مارسوا حرب التشكيك والمراء حول الرسالة والرسول ، وكان موضوع تحويل القبلة قد أثار جدلاً كبيرًا . .

وكان المسلمون قد استقبلوا بيت المقدس فى أوائل العهد المدنى ستة عشر شهرًا أو سبعة عشر لتهدئة الصراع النفسى لدى المسلمين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ، ولتأليف اليهود وجذبهم للدين الجديد بتعظيم بيت المقدس الذى بارك الله حوله ، ولبيان أن رسالات الله تلتقى فى أصولها العامة . .

ولكن إذا ما أحس المسلمون بوحدة صفوفهم وقوة إيمانهم واتخذوا موقف الدفاع وأذن الله تعالى لهم بالقتال فليتجهوا - إذن - إلى البيت الحرام بمكة ليحيا فى وجدانهم حتى يطهروه من رجس الوثنية ، ثم إن البيت الحرام هو بناء إبراهيم الجد الأكبر للعرب واليهود معًا وهو أول بيت وضع للناس . .

وكان الرسول ﷺ يكثر من الدعاء إلى الله تعالى أن يجعل قبلته إلى البيت الحرام بمكة ، وهنا نزل قول الله تعالى : ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ﴿١٤٤﴾ ﴾ [البقرة : ١٤٤] . .

وقد أحدث تحويل المسلمين إلى الكعبة فى الصلاة حملة تشكيك تولى كبرها السفهاء من أهل الكتاب وهم اليهود وقالوا : أخبرونا عن صلاتكم إلى بيت المقدس ، إن كانت على هدى فقد تحولتم عنه ، وإن كانت على ضلالة فقد عبدتم الله بها مدة ؟!

وتساءل البعض عن حكم من مات قبل أن يدرك تحويل القبلة . . هنا نزل القرآن العظيم كاشفًا خفايا صدور المنافقين واليهود ، ومصححًا لمفهوم العبادة فقال : ﴿ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُل لِّلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا

﴿لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلاَّ عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ (١٤٣)﴾

[البقرة: ١٤٢ – ١٤٣] . .

فالعبادة هى الامتثال الضارع لأمر الله الحكيم الخبير ، وطالما امتثل الإنسان أمر خالقه وبارئه فهو فى محل الرضا من الله سبحانه ، ومن صلى إلى القبلة الأولى ومات قبل أن يدرك القبلة الثانية فقد قبل الله صلاته لأنه امتثل وأطاع ، وليس الهدى فى اتباع موطن خاص أو التوجه إلى مكان معين وإنما الهدى هدى الله . .

وقد توترت العلاقة بين اليهود والمسلمين خلال العهد المدنى بعد ذلك وبدأت المواجهات العسكرية لأسباب افتعلها اليهود ، ومواقف جاهروا فيها بالعداء ، وأحداث شاركوا فيها من أجل القضاء على المسلمين . .

وتمثل ذلك فى ثلاث غزوات فى المدينة عرفت باسم قبائل اليهود وهى : غزوة بنى قينقاع وغزوة بنى النضير وغزوة بنى قريظة ، ثم كانت الغزوة الأخيرة ضدهم باسم غزوة خيبر على أطراف الجزيرة العربية . .

● غزوة بنى قينقاع:

نصر الله المسلمين فى بدر نصرًا مؤزرًا ، وعقب انتهاء الغزوة فى مكان بئر بدر سارع زيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة ليبشرا أهل المدينة بهذا الانتصار العظيم ، فقال كعب بن الأشرف اليهودى : أحق هذا ؟! أترون محمدًا قتل هؤلاء الذين يُسمى هذان الرجلان – يعنى زيدًا وعبد الله بن رواحة ؟!

فهؤلاء أشراف العرب وملوك الناس ، والله لئن كان محمد أصاب هؤلاء القوم ، لبطن الأرض خير من ظاهرها . .

فلما تيقن عدو الله الخبر خرج حتى قدم مكة وجعل يحرض على رسول الله وينشد الأشعار ويبكى قتلى المشركين . .

واشتعل الحقد فى يهود بنى قينقاع وبدأوا حركة تشبيب بنساء المسلمين

ومضايقات لهن حتى إن امرأة مسلمة جلست إلى صائغ يهودى تبيعه شيئًا فى سوق بنى قينقاع فعمد الصائغ إلى طرف ثوبها فعقده إلى ظهرها فلما قامت انكشفت سوأتها فتضاحك اليهود وصاحت المرأة ، فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله وشدت اليهود على المسلم فقتلوه . .

وتدخل الرسول ﷺ وذكر القوم بما بينهم وبين المسلمين من عهود وقال لهم : يا معشر يهود احذروا من الله مثل ما نزل لقريش من النقمة ، وأسلموا فإنكم قد عرفتم أنى نبى مرسل ، تجدون ذلك فى كتابكم وعهد الله لكم . .

قالوا : يا محمد لا يغرنك أنك لقيت قومًا لا علم لهم بالحرب فأصبت منهم فرصة ، إنا والله لئن حاربناك لتعلمن أنا نحن الناس . .

ونزل قول الله تعالى : ﴿ **قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ (١٢) قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ (١٣)** ﴾ [**آل عمران** : ١٢ - ١٣] . .

ولم يكن بد من المواجهة ، فقام رسول الله ﷺ بمحاصرة يهود بنى قينقاع خمس عشرة ليلة ، انتهت باستسلامهم وخروجهم إلى الشام ، واستيلاء المسلمين على أموالهم وحصونهم وديارهم دون أن تراق قطرة دم واحدة . .

وكانت تلك الغزوة فى شوال من العام الثانى للهجرة . .

● غزوة بنى النضير:

فى غزوة أحد فى العام الثالث من الهجرة امتحن المسلمون امتحانًا كبيرًا ، فقد قتل سبعون من خيار الصحابة على رأسهم حمزة بن عبد المطلب عم رسول الله ﷺ ، وحدث بعد ذلك أن غدرت قبيلة هذيل بستة من الصحابة ، بعثهم رسول الله معلمين للدين ومقرئين للقرآن ، وتبع ذلك أن أصيب المسلمون فى أربعين من خيار الصحابة كانوا مجتازين فى مهمة تبليغ الدعوة وأحاطت بهم بعض القبائل المعادية للإسلام وأجهزوا عليهم ما عدا واحدًا تمكن من العودة وهو عمرو بن أمية ،

وخلال عودته لقى رجلين من بنى عامر ، تلك القبيلة التى اشتركت فى اغتيال إخوانه ، وأمهلهما حتى ناما فعدا عليهما وقتلهما وهو يرى أن قد أخذ بثأره . .

لكن الرجلين العامريين كان معهما عقد من رسول الله ﷺ وجوار لم يعلم به عمرو بن أمية ، فلما جاء الخبر إلى رسول الله قال له : لقد قتلت قتيلين . . لأدينهما (أى لأعطينهما الدية) ، فذهب الرسول الكريم إلى بنى النضير يستعينهم فى دية هذين الرجلين تنفيذًا للمعاهدة المبرمة مع المسلمين . .

لكن بنى النضير حاولوا اغتنام الفرصة والتخلص من الرسول ﷺ فعهدوا إلى أحدهم بإلقاء صخرة على رأس الرسول وهو جالس مستندًا إلى جدار أحد بيوتهم . .

وأحس الرسول ﷺ منهم بالكفر والغدر فقام وأصدر أمرًا بإجلائهم ، وأرسل إليهم إنذارًا مع أحد الصحابة ، هذا نصه :

« إن رسول الله أرسلنى إليكم أن اخرجوا من بلادى ، لقد نقضتم العهد الذى جعلت لكم بما هممتم به من الغدر بى ، لقد أجلتكم عشرًا فمن رئى بعد ذلك ضربت عنقه » . .

وحاول حزب الشيطان أن يثيرها حربًا شعواء ، فأرسل المنافقون إلى بنى النضير يحرضونهم على التمرد ، ويعدونهم المساعدة ، وكادت تندلع حرب أهلية لا تبقى ولا تذر . .

وأعد المسلمون عدتهم وأحكموا الحصار ، ولم يتقدم أحد لنجدة بنى النضير ، فلما يئسوا أذعنوا لحكم رسول الله فصالحهم على أن يخرجوا ولكل ثلاثة منهم بعير يحملون عليه ما شاءوا ما عدا السلاح ، فذهب بعضهم إلى خيبر وسار بعضهم إلى حدود الشام . .

وقد نزلت سورة الحشر تبين سير الحملة العسكرية ونتائجها وتكشف دخائل اليهود وتعلى من قوة الإيمان وسلطان اليقين . .

قال تعالى : ﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١) هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنتُمْ أَن

يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الأَبْصَارِ (٢)﴾ [الحشر : ١ - ٢] . .

● **غزوة بنى قريظة:**

اجتمع حزب الشيطان من المشركين والمنافقين واليهود لاستئصال شأفة المسلمين فى المدينة سنة خمس من الهجرة ، وأحكموا حصار المدينة من الداخل والخارج ، وعبّر القرآن عن ذلك بقول الله تعالى : ﴿إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا (١٠)﴾ [الأحزاب : ١٠] . .

وبلغ من كيد اليهود وحقدهم أن قالوا للمشركين وهم يحرضونهم على قتال المسلمين : دينكم خير من دين محمد ، وأنتم أولى بالحق منه . . !! وذلك حين حار المشركون فى فهم الظاهرة القرآنية وقوة المسلمين المتصاعدة فسألوا اليهود قائلين : يا معشر اليهود إنكم أهل الكتاب الأول ، والعلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد . .

وعندئذ نزل القرآن المجيد : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلاً (٥١) أُوْلَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَن يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا (٥٢)﴾ [النساء : ٥١-٥٢] .

لقد استطاع اليهود تجميع عشرة آلاف مشرك من قبائل العرب أحاطوا بالمدينة ، وواعدوهم النصرة من داخلها ، وحاول الرسول ﷺ تذكير اليهود بالعهد والميثاق الذى واثقوا عليه المسلمين ، فقالوا : لا عهد بيننا وبين محمد ولا عقد . . !!

وشاء الله تعالى أن يسلم فى هذا الوقت العصيب نُعيم بن مسعود فأتى رسول الله قائلاً : **يا رسول الله إنى قد أسلمت وإن قومى لم يعلموا بإسلامى فمرنى بما شئت . .**

فقال له رسول الله ﷺ : **«إنما أنت فينا رجل واحد فخذل عنا إن استطعت فإن الحرب خدعة»** . .

فاستطاع نعيم بن مسعود أن يوقع الفرقة بين المشركين واليهود حتى خاف بعضهم من بعض ، وأرسل الله الرياح على المشركين فأكفأت قدورهم وخلعت خيامهم وأطفأت نيرانهم فولوا الأدبار ورجعوا خائبين من حيث أتوا ، ونزل قول الله تعالى : ﴿ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا (٢٥) ﴾ [الأحزاب : ٢٥] . .

وعاد الرسول والمسلمون من الخندق إلى المدينة ظهرًا ، وما كاد الرسول ﷺ يضع رحله حتى نزل جبريل الأمين يدعوه إلى مواصلة المسير إلى بنى قريظة فأمر الرسول مؤذنًا ينادى فى الناس : **«من كان سامعًا مطيعًا فلا يصلين العصر إلا فى بنى قريظة»** . .

وخرج رسول الله ﷺ مسرعًا إلى بنى قريظة ، فلما دنا من حصونهم قال : **«يا إخوان القردة هل أخزاكم الله وأنزل بكم نقمته ؟!»** .

قالوا : يا أبا القاسم ما كنت جهولاً . .

وتلاحق الناس برسول الله ، وصلى بعضهم العصر خشية فواته قبل أن يصلوا إلى حصون بنى قريظة ، وأبى بعضهم أن يصلى العصر حتى يأتى بنى قريظة فصلوا بها العصر بعد العشاء الآخرة . .

وما عاب الله تعالى أحدًا من الفريقين ولا عنفهم رسول الله لأنهم قد اجتهدوا ، والمجتهد مأجور من الله أصاب أو أخطأ . .

وحاصر المسلمون بنى قريظة خمسًا وعشرين ليلة حتى قذف الله فى قلوبهم الرعب فقام سيدهم كعب بن أسد قائلاً : يا معشر يهود قد نزل بكم من الأمر ما ترون ، وإنى عارض عليكم خلالاً ثلاثًا فخذوا أيها شئتم ، قالوا : وما هى ؟

قال : نتابع هذا الرجل ونصدقه فوالله لقد تبين لكم أنه لنبى مرسل ، وأنه للذى تجدونه فى كتابكم فتأمنون على دمائكم وأموالكم وأبنائكم ونسائكم . .

قالوا : لا نفارق حكم التوراة أبدًا ولا نستبدل به غيره . .

قال : فإذا أبيتم علىّ هذه فهلم فلنقتل أبناءنا ونساءنا ثم نخرج إلى محمد وأصحابه رجالاً مصلتين السيوف ، لم نترك وراءنا ثقلاً ، حتى يحكم الله بيننا وبين

محمد فإن نهلك نهلك لم نترك وراءنا نسلاً نخشى عليه وإن نظهر فلعمرى لنجدن النساء والأبناء . .

قالوا : نقتل هؤلاء المساكين ؟ فما خير العيش بعدهم ؟

قال : فإن أبيتم علىّ هذه فإن الليلة ليلة السبت ، وإنه عسى أن يكون محمد وأصحابه قد أمنونا فيها فانزلوا لعلنا نصيب من محمد وأصحابه غرة . .

قالوا : نفسد سبتنا علينا ، ونحدث فيه ما لم يُحدث مَنْ كان قبلنا إلا مَنْ قد علمت ، فأصابه ما لم يخف عليك من المسخ . . !!

قال : ما بات رجل معكم منذ ولدته أمه ليلة واحدة من الدهر حازمًا[1] . .

وانتهى الموقف بحكم سعد بن معاذ فى بنى قريظة بقتل الرجال وتقسيم الأموال وسبى الذرية والنساء . .

وصدق الله حيث يقول : ﴿ **وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا (٢٦) وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَئُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا (٢٧)** ﴾ [**الأحزاب** : ٢٦ - ٢٧] . .

● غزوة خيبر:

أمن رسول الله ﷺ قريشًا بعد صلح الحديبية فى العام السادس للهجرة ، وبدأ يراسل ملوك العالم وأمراء الجزيرة العربية ، ويحمى حمى المسلمين ، ففكر فى أمر يهود خيبر الذين يقطنون على أطراف الجزيرة العربية ويقتربون من الفرس والروم . .

وهؤلاء اليهود لا عهد لهم ولا ذمة ، فكم عاهدهم الرسول وغدروا ، وكم واثقهم ونقضوا ، وكانت آخر مؤامراتهم فى غزوة الأحزاب التى انتهت بالقضاء على بنى قريظة ، لكن فلول بنى قينقاع وبنى النضير ما زالوا مقيمين فى خيبر التى رحلوا إليها بعد إخراجهم من المدينة . .

وفى المحرم من العام السابع للهجرة توجه الرسول ﷺ إلى خيبر وهو يقول - ما

(١) السيرة النبوية لابن هشام ـ تحقيق مصطفى السقا وآخرين جـ٢ص ٢٣٥ ط الحلبى .

اعتاد أن يقوله فى كل قرية يدخلها - : «**اللهم رب السموات وما أظللن ، ورب الأرضين وما أقللن ، ورب الشياطين وما أضللن ، ورب الرياح وما أذرين ، فإنا نسألك خير هذه القرية وخير أهلها وخير ما فيها ، ونعوذ بك من شرها وشر أهلها وشر ما فيها ، أقدموا باسم الله**» . .

فلما اقترب الرسول من خيبر قال : «**الله أكبر ، خربت خيبر ، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين**» . .

وبدأ المسلمون يقتحمون خيبر حصنًا حصنًا حتى انتهوا إلى آخر حصونهم فحاصروهم بضع عشرة ليلة ، فلما أيقن القوم بالهلاك صالحوا رسول الله ﷺ على أن يجليهم ويحقن دماءهم ويحوز المسلمون الأموال كلها . .

وسمع بهم يهود فدك فبادروا إلى مصالحة المسلمين على ما صالحوا عليه أهل خيبر . .

ثم أبقاهم الرسول ﷺ يعملون فى الأرض مقابل نصف ثمرها على أن يخرجهم منها متى شاء . .

وبهذا انتهى إلى الأبد سلطان اليهود السياسى فى الجزيرة العربية ولم يعد لهم وجود يعتد به وأصبحت الجزيرة العربية فى حمى المسلمين خالصة لهم من دون الناس . .

وفى خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه أرسل إلى يهود خيبر قائلاً : **إن الله عز وجل قد أذن فى جلائكم ، وقد بلغنى أن رسول الله ﷺ قال فى وجعه الذى قبضه الله فيه : « لا يجتمعن بجزيرة العرب دينان » . .**

فمن كان عنده عهد من رسول الله من اليهود فليأتنى به أنفذه له ، ومن لم يكن عنده عهد من رسول الله من اليهود فليتجهز للجلاء . . !!

وأتم عمر بن الخطاب تطهير الجزيرة العربية من دنس اليهود ولم يعد فيها يهودى يسير على أرضها . . وذهبوا إلى المنفى ممزقين فى أرض الله الواسعة . .



المشهد السادس

المواجهة

٣ بشائر النصر للأمة الإسلامية

● الوفاء الإلهى:

جرت سنة الله تعالى فى خلقه أن يكون أهل الحق فى صراع دائم مع أهل الباطل ، وهذا الصراع عميق عمق التاريخ ، باق إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها . .

وبدأ هذا الصراع منذ أعلن إبليس اللعين عداوته لبنى آدم وقال - كما حكى القرآن المجيد - : ﴿ **قَالَ أَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ (١٤) قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ (١٥) قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ (١٦) ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ (١٧)** ﴾ [**الأعراف** : ١٤ - ١٧] .

لكن هذا الوعيد الشيطانى قابله وعد إلهى بحفظ المؤمنين الصادقين وإخراجهم من سيطرة إبليس اللعين ، فقال تعالى : ﴿ **إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ (٤٢)** ﴾ [**الحجر** : ٤٢] . .

وجرت أحداث التاريخ كله على أن نصر الله للمؤمنين وأن الدائرة على الكافرين ، وظلت سنة المدافعة قائمة بين الناس يتحملها الأوفياء لدينهم وعقيدتهم فى كل زمان ومكان حتى تظل معالم الدين واضحة شامخة . . قال الله تعالى : ﴿ **وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا (٤٠)** ﴾ [**الحج** : ٤٠] . .

وأكد القرآن فى مواضع عدة تحقق الوعد الإلهى للمؤمنين ، وجاء البيان القرآنى بصيغ شتى ذات دلالة قوية على الوفاء الإلهى . .

فعبر عنه بالحق الثابت للمؤمنين على الله عز وجل ، مع أن الكون كله والكائنات بأسرها فى قبضة الله وحده ، وهو الخالق المدبر الحكيم ، مالك كل شىء وقاهره . .

فقال تعالى : ﴿ **وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلاً إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَانتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ (٤٧)** ﴾ [**الروم** : ٤٧] . .

وتارة يسوق البيان القرآنى هذا الوعد مصحوبًا بتأكيدات لغوية ، كما فى قوله تعالى : ﴿ **إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ (٥١)** ﴾ [**غافر** : ٥١] . .

وتارة أخرى يجعل البيان القرآنى هذا الوعد قضاءً مبرمًا وحكمًا قدريًا لا يرد ، كما فى قوله تعالى : ﴿ **وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ (١٧١) إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ (١٧٢) وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ (١٧٣)** ﴾ [**الصافات** : ١٧١ - ١٧٣] . .

فهل يعقل أن تأتى هذه الآيات فى كتاب معجز خالد ، ثم يتخلف مدلولها ؟

هذا مستحيل . .

فالقرآن ينطق بالحق ، ومن أوفى بعهده من الله ؟!

● قوانين الوعد الإلهى :

إن تحقيق الوعد الإلهى بنصر المؤمنين له أفقان :

١ - أفق الملأ الأعلى .

٢ - أفق الجانب الإنسانى .

ويتجلى أفق الملأ الأعلى فى مدد الملائكة وتثبيتهم للمجاهدين الصادقين ، وتبشيرهم بآمال المستقبل ونزع الخوف من قلوبهم . .

قال تعالى : ﴿ **إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلاثَةِ آلافٍ مِّنَ**

الْمَلائِكَةِ مُنزَلِينَ (124) بَلَىٰ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلافٍ مِّنَ الْمَلائِكَةِ مُسَوِّمِينَ (125) وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلاَّ بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (126) ﴾ [آل عمران: ١٢٤-١٢٦] .

فالملائكة لا تحارب نيابة عن المسلمين ولا تقاتل وهم كسالى قاعدون وإنما مهمة الملائكة تثبيت القلوب وحفز الهمم وإلقاء الأمل فى النفوس بنصر قريب . .

ويتجلى الأفق الإنسانى فى جوانب أساسية هى :

١ - نصر دين الله بمعنى صدق العقيدة والولاء الكامل لحكم الله وحكمته ، والتسليم المطلق لمنهج الله سبحانه . . قال تعالى : ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (40) ﴾ [الحج : ٤٠] . . وقال جل شأنه : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ (7) ﴾ [محمد : ٧] . .

٢ - إعداد العدة المادية وتحقيق أقصى طاقة ممكنة فى المجال العسكرى . . قال الله تعالى : ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ (60) ﴾ [الأنفال : ٦٠] .

وليس شرطًا أن تتكافأ القوتان ، بل يكفى بذل الجهد واستيعاب الطاقة المتاحة مهما تكن متواضعة ، فالمسلمون على مدى تاريخهم الطويل الحافل بالأمجاد لم يكونوا أكثر من عدوهم عددًا ولا أقوى منه عدة وإنما حرصوا على الموت فوهبت لهم الحياة . .

قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَفْقَهُونَ (65) الآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ (66) ﴾ [الأنفال : ٦٥ - ٦٦] . .

لقد جعل الله تعالى للمسلمين فى مواجهة عدوهم حالين أشارت إليهما الآية الكريمة :

الحال الأولى : أن يثبت العشرون من المسلمين أمام المائتين من المشركين ، والمائة أمام الألف ، وهذه الحال عند قوة يقين المسلمين وكمال ثقتهم بالله تعالى وصدق توكلهم على الله ، فالواحد من المسلمين يقاتل عشرة من الكافرين . .

الحال الثانية : عندما يتناقص الإيمان ويستولى حب الدنيا على المسلمين فقد جعل الله ثبات المسلمين واجبًا إذا كانوا على النصف من عدوهم فالمسلم الواحد يجب عليه تكليفًا شرعيًا أن يثبت أمام الاثنين . .

وما بعد هاتين الحالين يعد فرارًا من الميدان ونكوصًا عن الجهاد ، وهو من أكبر الكبائر ، قال تعالى : ﴿ **وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلاَّ مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (١٦)** ﴾ [**الأنفال :** ١٦] .

٣ - شرف الغاية التى تتجسد فى إعلاء الدين ونصرة القيم والدفاع عن الأعراض وحماية المقدسات . .

لقد جاء أعرابى إلى رسول الله ﷺ وقال : **يا رسول الله ، الرجل يقاتل للمغنم ، والرجل يقاتل ليُذكر ، والرجل يقاتل ليرى مكانه ، فمن فى سبيل الله؟**

قال ﷺ : « **من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله** » .

فالجهاد الإسلامى لا يستنزف ثروات الشعوب ولا يسلب خيراتها ولا يدمر الحضارة الإنسانية ولا يتباهى بالقوة الغاشمة ولا يسعى لمكاسب رخيصة . .

٤ - شكر النعمة ، فانتصار المسلمين يعنى استمرار العطاء الخير المبارك فى جوانب الحياة كلها ، قال تعالى : ﴿ ... **وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (٤٠) الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ (٤١)** ﴾ [**الحج :** ٤٠ - ٤١] . .

● الوعيد الإلهى :

متى آمنا بالوعد الإلهى بنصر المؤمنين فإنه يلزمه تحقق وعيد الله للكافرين ، وقد أكد القرآن ملاحقة العدل الإلهى للطغاة المستكبرين على مدى التاريخ الإنسانى ، فحث القرآن المؤمنين على مدافعة هؤلاء الطغاة بلا تردد أو خوف فهم طبول فارغة

لا يثبتون أمام الحق وأهله ، وهم مخدوعون بغرور شيطانى لا يعرف نبل الهدف ولا شرف الغاية ، ولذا فهم ضعفاء مهما تظاهروا بالقوة . . قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا (٧٦) ﴾ [النساء : ٧٦] . .

وبين القرآن أن همة المؤمنين تعلو كل شىء وتسمو على كل إغراء ، فهى تسعى لأحد هدفين وإحدى حسنيين ، كلاهما الفوز المبين :

١ - إما نصر يعز به الحق وأهله فى دنيا الناس . .

٢ - وإما شهادة تلحق صاحبها بالفردوس الأعلى . .

وهذه الهمة العالية والشجاعة الباسلة تضرب ضربتها التى تحطم كبرياء الباطل أو تنتظر ضربة قدرية إلهية تحيق بالعدو من حيث لا يحتسب ، وتخرج عن دائرة التدبير البشرى . .

قال الله تعالى : ﴿ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلاَّ إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ (٥٢) ﴾ [التوبة : ٥٢] .

وأكد القرآن أن جهود الطغاة المستكبرين مبددة وأن تدبيرهم تدمير لأنفسهم وأن ما يملكون من عتاد أو ينفقون من أموال أو يحيكون من مؤامرات سيذهب سدى ولن يعوق مسيرة الهداية والإصلاح . .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴾ [الأنفال : ٣٦] .

ونبه القرآن المؤمنين إلى أن تحالف الكفر تحالف فاشل ينطوى على هلع ورعب وخوف ، وأن الكافرين أعجز من أن يواجهوا المؤمنين مواجهة ميدانية مباشرة ، ولذا فهم اليوم يطلقون الصواريخ عابرة القارات أو الطائرات بدون طيارين ، يلقون القنابل عن بعد بعيد ومن مسافات شاسعة دون أن يجرؤا على الالتحام على الأرض مع المؤمنين . . قال

تعالى : ﴿ لا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلاَّ فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْقِلُونَ (١٤) ﴾ [الحشر : ١٤] . .

وكانت الكلمة الفاصلة والحكم القاطع والقضاء المبرم هو الغلبة على الطغاة المستكبرين وهزيمتهم . .

قال تعالى : ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ (١٢) ﴾ [آل عمران : ١٢] . .

وقال جل شأنه : ﴿ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ (٤٥) بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ (٤٦) ﴾ [القمر : ٤٥ – ٤٦] . .

وأعلن القرآن أن هذا الحكم القاطع والقضاء المبرم هو سنة جارية لا تعوقها قوة ولا تمنعها سلطة ولا تردها بسطة علم مادى . .

قال تعالى : ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الأَرْضِ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٨٢) ﴾ [غافر : ٨٢] . .

● أسباب الوعيد :

إن تحقق الوعيد الإلهى للطغاة المستكبرين مرتبط بأسباب من الظلم والإفساد فى الأرض . . منها :

١ – الاستبداد السياسى ، وأسوأ مثال ذلك هو فرعون مصر الذى رفض دعوة موسى عليه السلام وقال : ﴿ أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَىٰ (٢٤) ﴾ [النازعات : ٢٤] . .

وخاطب قومه قائلاً : ﴿ . . يَا أَيُّهَا الْمَلأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي . . (٣٨) ﴾ [القصص : ٣٨] . .

وقهر شعبه على فكره الطائش : ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلاَّ مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلاَّ سَبِيلَ الرَّشَادِ (٢٩) ﴾ [غافر : ٢٩] . .

وقد كان مصير فرعون عبرة للأولين والآخرين ، فقد غرق فى اليم وأطبق عليه الماء هو وجنوده ثم لفظه البحر جثة هامدة لتراه الأعين وتسخر منه النفوس ، قال تعالى :

﴿ وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لا إِلَٰهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٩٠) آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ (٩١) فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ (٩٢) ﴾ [**يونس** : ٩٠ – ٩٢] . .

٢ – غرور القوة الحمقاء وتمثل ذلك فى عاد قوم هود ، وثمود قوم صالح . . فقد منحهم الله بسطة الأبدان وقوة السلاح وحضارة الحياة التى لم يعرفها التاريخ من قبل . .

قال تعالى : ﴿ فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ (١٥) فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لا يُنصَرُونَ (١٦) وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (١٧) وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (١٨) ﴾ [**فصلت** : ١٥ – ١٨] . .

٣ – المجاهرة بالمنكر والتمرد على القيم ، وقد مارس قوم لوط عليه السلام الشذوذ علانية وأتوا فاحشة ما سبقهم بها أحد من العالمين . .

قال تعالى : ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ (٢٨) أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَن قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٢٩) قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ (٣٠) ﴾ [**العنكبوت** : ٢٨ – ٣٠] . .

واستجاب الله دعوة نبيه وجاءت لحظة الهلاك وحقت كلمة العذاب . . قال

تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ (٨٢) مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ (٨٣) ﴾ [هود : ٨٢ - ٨٣] . .

فهذه الأسباب هى أمهات الإثم وكبريات الجريمة وقد لاحق أصحابها العدل الإلهى بعد أن رفضوا كل نصيحة ونكلوا بكل المصلحين الناصحين . .

لقد وقف نوح عليه السلام أمام المستهزئين من قومه وقال لهم : ﴿ ... يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ (٦١) أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ (٦٢) ﴾ [الأعراف : ٦١ - ٦٢] . .

ووقف هود عليه السلام أمام الملأ المستكبرين من قومه قائلاً : ﴿ ... يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ (٦٧) أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ (٦٨) ﴾ [الأعراف : ٦٧ - ٦٨] . .

وعندما يئس صالح عليه السلام من قومه بعد أن بالغ فى الدعوة والنصيحة والتذكير والإنذار - تجنبهم : ﴿ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِن لاَّ تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ (٧٩) ﴾ [الأعراف : ٧٩] . .

وهكذا تتواصل مسيرة العدل الإلهى تمحق المستكبرين على الحق ، المفسدين فى الأرض ، وتقطع دابرهم فى سنة جارية إلى يوم القيامة . . قال تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ (١٠٢) ﴾ [هود : ١٠٢] . .

● الابتلاء سنة إلهية :

قد يظهر الطغاة المستكبرون فى مرحلة من مراحل التاريخ ، ويبسطون ألسنتهم وأيديهم بالسوء على أهل الحق ودعاة الخير ، ويتربصون بالمصلحين فى الأمة ، لكن ذلك لا يعنى غفلة الله عنهم ولا عجزه سبحانه عن تبديد قوتهم وتمزيق صفوفهم . .

وجاء البيان القرآنى يحذر الإنسان من هذا التفكير السقيم أو من هذا الإحباط

المرير ، فتوجه بالخطاب إلى المستكبرين يهددهم ويتوعدهم فقال : ﴿ **وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لا يُعْجِزُونَ (٥٩)** ﴾ [**الأنفال** : ٥٩] . .

وتوجه الخطاب إلى المؤمنين يؤكد الوفاء الإلهى بنصرهم وملاحقة الظالمين فقال :

﴿ **فَلا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ (٤٧)** ﴾ [**إبراهيم** : ٤٧] .

ثم وضح البيان القرآنى أن الآلام التى يلاقيها المؤمنون والشدة التى تلحقهم ليست وقفًا عليهم فالحرب سجال ، وقد ذاق أعداء الله آلامًا وشدة فى عصور متعددة لكن المؤمنين يتفاضلون بنظرتهم المتفائلة ، والأمل الذى لا ينقطع فى وجه الله عز وجل . . قال تعالى : ﴿ **إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (١٤٠) وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ (١٤١)** ﴾ [**آل عمران** : ١٤٠ - ١٤١] .

فليس هناك معركة بغير شهداء ، وليس هناك جهاد بغير تضحيات ، وإذا كان أهل الباطل يدافعون عن باطلهم ويجادلون فأحرى بأهل الحق أن يثبتوا ويستبسلوا فإن العاقبة للمتقين والدائرة على الكافرين ، وإنما هى إحدى الحسنيين للمؤمنين ، وليس الإيمان شهوة نفس أو مغنم مال أو حب سلطة . . قال تعالى : ﴿ **أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ (٢) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ (٣)** ﴾ [**العنكبوت** : ٢ - ٣] . .

وقدم البيان القرآنى حال أهل الحق فيما سلف من الأمم عبرة للآخرين وكيف تحملوا ما تنوء به الجبال ، وكيف وصلوا إلى مرحلة الزلزلة النفسية حتى تداركهم الله بلطفه ونصره وتأييده . .

قال تعالى : ﴿ **أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ (٢١٤)** ﴾ [**البقرة** : ٢١٤] . .

بل إن هذه الزلزلة النفسية وصلت إلى مرحلة طال فيها البلاء واستأخر النصر ، سماها القرآن « الاستيئاس » أى انقطاع الأمل ، لكن اليقين بنصر الله يمحو كل يأس ويجدد كل أمل ويدفع إلى كل تضحية . . قال تعالى : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ (١١٠) ﴾ [يوسف : ١١٠] . .

** وحول هذه المعانى جاءت أحاديث نبوية شريفة منها حديث البخارى بسنده عن عدى بن حاتم رضي الله عنه قال : بينما أنا عند النبى ﷺ إذ أتاه رجل فشكا إليه الفاقة ثم أتاه آخر فشكا قطع السبيل ، فقال : يا عدى ، هل رأيت الحيرة؟ قلت : لم أرها وقد أنبئت عنها ، قال : فإن طالت بك حياة لترَيَنّ الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف أحدًا إلا الله .

قلت فيما بينى وبين نفسى : فأين دُعَّار طئ الذين قد سعروا البلاد[1] .

ولئن طالت بك حياة لتُفتحَن كنوز كسرى

قلت : كسرى بن هرمز ؟ قال : نعم

ولئن طالت بك حياة لتَرين الرجل يُخرج ملء كفه من ذهب أو فضة فلا يجد مَنْ يقبله .

وليلقين اللهَ أحدُكم يوم يلقاه وليس بينه وبينه ترجمان يترجم له

فيقولَن له : ألم أبعث إليك رسولاً فيبلغَك ؟

فيقول : بلى

فيقول : ألم أعطك مالاً وولدًا ، وأُفْضِل عليك ؟

فيقول : بلى

فينظر عن يمينه فلا يرى إلا جهنم ، وينظر عن يساره فلا يرى إلا جهنم ، فاتقوا النار ولو بشق تمرة فمن لم يجد فبكلمة طيبة .

قال عدى : فرأيت الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف إلا الله ، وكنت فيمن افتتح كنوز كسرى ولئن طالت بكم حياة لترون ما قال أبو القاسم ﷺ .

---

(١) الدعار : الشرار ، سعروا البلاد : ملأوها فسادًا .

** لقد ابتلى المسلمون بألوان شتى وجاء الناس يسألون رسول الله ﷺ المخرج من هذا البلاء ، فوعدهم وعد الصدق بأن الأمن والأمان قادم لا محالة فلن يخذل الله عباده المؤمنين ، وبشرهم الرسول الكريم فى هذا الحديث بشريات ثلاثًا :

١ - أن يعم الأمن حتى إن المرأة على ضعفها واستشراف الناس لها تمشى المسافات الشاسعة وتطوى الأرض من أماكن نائية فلا يتعرض لها أحد ، ولا تخشى الطريق فى ليل أو نهار ، وتصل إلى غايتها سالمة غانمة . .

٢ - أن ينتشر نور الإسلام فى الآفاق وتتساقط معاقل الظلم والشرك ، ويتولى عباد الله قيادة الحياة ويوجهون الاقتصاد حتى يكون فى خدمة البشرية جمعاء بعد أن ينزعوه من أيدى الطغاة المستكبرين . .

٣ - أن يعم الرخاء نتيجة العدل والأمن ، ويشعر الجميع بالقناعة وتتحقق الآمال كلها مادية ومعنوية فلا يبقى محتاج ولا يوجد بائس ولا يتصارع على المادة أحد . .

ولقد تحقق ما وعد به رسول الله ﷺ وشاهد الصحابى الجليل عدى بن حاتم بشريين ولما بقيت الأخرى لم يرها على عهده أكد وقوعها وضرورة تحققها تصديقًا بالوعد النبوى وقال فى يقين كامل : **لئن طالت بكم حياة لترون ما قال أبو القاسم ﷺ** .

إن الأمل يولد فى الشدة ، وإن النور ينبثق فى الظلام ، وكل ما فى الأمر أن يصبر المؤمن ويصابر حتى يحقق الظفر بما يريد ويتحقق له ما يصبو إليه .

ويؤكد لنا هذا المعنى ما يرويه الصحابى الجليل خباب بن الأرت رضي الله عنه قال :

شكونا إلى النبى ﷺ وهو متوسد بردة له فى ظل الكعبة ، قلنا له : ألا تستنصر لنا ، ألا تدعو الله لنا ، فقال عليه الصلاة والسلام : « كان الرجل فيمن قبلكم يحفر له فى الأرض فيجعل فيه فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيشق باثنتين وما يصده ذلك عن دينه ، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظم أو عصب وما يصده ذلك عن دينه ، والله ليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله أو الذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون » .

الفهـــرس

من مـؤلفـات
الأستاذ الدكتور/ محمد سيد أحمد المسير
بشـركة نهضـة مصـر

١ - قضايا الفكر الإسلامى المعاصر.

٢ - منهج الفرقان فى علوم القرآن جـ ١ «تحقيق».

٣ - منهج الفرقان فى علوم القرآن جـ ٢ «تحقيق».

٤ - العبادات فى الإسلام «بحوث وفتاوى».

٥ - زلزال الحادى عشر من سبتمبر وتوابعه الفكرية.


نهضة مصر
للطباعة والنشر والتوزيع
أسسها أحمد محمد إبراهيم سنة ١٩٣٨
www.nahdetmisr.com